هايدي

يوهانا سبيري

النبراس
للطباعة و النشر

النبراس
للطباعة و النشر
صنعاء

هـــايـــدي

بقلم :

يوهانا سيبري

ترجمة :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢١ م

نبذة عن المؤلفة :

ولدت يوهانا هوسر أو يوهانا سيبري (عرفت في طفولتها بإسم هاني) في سويسرا في الثاني عشر من يوليو عام ١٨٢٧م حيث ترعرعت في قرية هرتزل القريبة من مدينة زيوريخ مع شقيقاتها الثلاث و شقيقيها الإثنين و والدها الطبيب و والدتها الشاعرة الغنائية في بيت أبيض على قمة تل أخضر تحفه الأشجار المثمرة من حوله و تحيط به الجبال العالية من كل جانب .

تمتعت بطفولة سعيدة و صحية في بيتها الذي أحبته حبا جما حيث كانت تقضي معظم وقتها مع أخوتها في باحته المفتوحة طوال فصل الصيف ، إزداد شغفها بالنباتات و الحيوانات و الطيور و وصل بها الأمر أحيانا إلى الإعتناء بأغنام عائلتها و رعيها في المروج الجبلية الخضراء .

تزوجت من رجل القانون الشاب برنارد سيبري عام ١٨٥٢م و عاشت معه في زيوريخ حيث كان لديهم هناك العديد من الأصدقاء من الكتاب و الفنانين حيث إستمعت هاني بكتابة القصص أيضا من أجل ترويح و تسلية إبنها الوحيد الذي كان يعاني من إعتلال صحته منذ

نعومة أظافره إلى أن مات عام ١٨٨٤م و هو في التاسعة و العشرين من عمره ، و بعد وفاته تقريبا ، توفي والده برنارد أيضا في نفس العام ، فكانت صدمة هاني بوفاتهما شديدة الوطأة عليها و أدخلها في حالة من الحزن و التعاسة ردحا من الزمن .

بعد إنتهاء الحرب الالمانية – الفرنسية (١٨٧٠-١٨٧١م) ، توافد العديد من الجنود الجرحى لكلا البلدين المتحاربين إلى سويسرا حيث أنفقت هاني من أرباح قصصها في سبيل مساعدتهم ، فلقد كتبت حوإلى ٥٠ رواية ، من أشهرها على الإطلاق رواية (هايدي) التي نشرت عام ١٨٨٠م و ترجمت إلى اللغة الإنجليزية عام ١٨٨٤م ليذاع صيتها في أنحاء بريطانيا و أمريكا .

قضت يوهانا سيبري جل وقتها في مساعدة الفقراء و المحتاجين و زيارة المدارس إلى أن وافاها الأجل في السابع من يوليو من عام ١٩٠١م .

بطلة الرواية التي بمتناول أيدينا هي فتاة سويسرية صغيرة تدعى هايدي ، ذهبت للعيش مع جدها الحزين و الغاضب في منزله الصغير الكائن على قمة الجبل قبل أن يشعر لاحقا بحبه الشديد لها .

في هذه الرواية ، وصفت يوهانا سيبري جبال الألب السويسرية الجميلة و الناس و الحيوانات و النباتات و الطيور الموجودين في منحدراتها الخضراء ، إلى جانب حديثها الدائم عن الوحدة و الحزن و الصداقة و السعادة ، فلقد كانت هايدي ذو قلب مفعم بالحب و بغاية اللطف مع من حولها .

الفصل الأول

هايدي و جدها

تكسو الثلوج قمم جبال الألب السويسرية بردائها الأبيض الناصع قبل أن ترحل كعادتها عن مروجها و أوديتها الخضراء خلال فصلي الربيع و الصيف حيث يمكنك رؤية العشب الأخضر و الأزهار الجميلة في كل ركن فيها .

و من هناك تقع بلدة ماينفيلد الصغيرة على إمتداد الوادي في شرق سويسرا تحيط بها الجبال العالية الواقعة خلفها من كل جانب .

ذات يوم مشمس من شهر يونيو ، صعدت إليها إمرأة شابة طويلة القامة تدعى ديتي ببطء سيرا على الأقدام عبر الدرب الجبلي الوعر تحمل بيسراها جعبة ملابس و تمسك بالأخرى يد فتاة صغيرة ترتدي فستانين من الصوف إحداهما فوق الأخرى و جوارب صوفية على ساقيها و حذائين طويلين على قدميها و ربطة عنق طويلة حمراء حول خصرها رغم حرارة الجو الدافئ .

ما إن قطعت ديتي نصف المسافة حتى وصلت إلى مسقط رأسها قرية دورفلي الصغيرة ، و أثناء تجوالها في شوارعها الحجرية حتى نادت إمراة بدينة ذات وجه بشوش خرجت من منزلها عليها بصوت عال من

بعيد ، لقد كانت صديقتها القديمة باربي ، فتعانقتا ثم تحدثتا عن الأيام الخوالي التي جمعتهما في مرحلة الطفولة أثناء تجوالهما معا (هل هذه إبنة شقيقتك ؟)

(نعم ، إنها إبنة أختي هايدي و تبلغ من العمر خمسة أعوام ، و لقد إضطررت للإعتناء بها إثر رحيل والدتها إلى جوار ربها قبل فترة وجيزة من الزمن)

(و لكن ، إلى أين ستأخذينها ؟)

(إلى جدها ، العم ألب ، ينبغي عليها الآن أن تعيش معه)

(ديتي ! لا يمكنك ترك هذه الطفلة مع العم ألب ! إنه لا يعرف كيفية التعامل مع الأطفال ...)

(أن الآوان أن يعتني بحفيدته ، فأنا مضطرة للعيش في مدينة فرانكفورت من أجل عملي الجديد ، و لذلك لا يمكنني رعاية هايدي بأي حال من الأحوال)

ألقت باربي نظرة فاحصة إلى قمة الجبل الماثل أمامها (مازال العم ألب كما هو ، رجلا غاضبا و فظا غليظ القلب يعيش وحيدا هناك طوال عمره ، لا يحب الناس و هم بدورهم لا يحبونه)

تلفتت ديتي حولها (أين هايدي ؟!)

(لا تقلقي ، إنها هناك في الأسفل مع بيتر)

كانت هايدي تتحدث مع هذا الراعي الصغير و من حولهما قطيع هائل من الأغنام (لا تقلقي يا ديتي ، سيعتني بيتر بها جيدا .... و الآن ، حدثيني عن العم ألب)

(كان ثريا جدا و هو في ريعان الشباب و يمتلك أفضل المزارع في الريف ما لبث أن أضطر لبيعهم جميعا كي يعوض خسائره المالية و من ثم يغادر دورفلي ، بعد عشر سنوات من رحيله عن القرية عاد إليها بصحبة ولده الصغير توبياس حيث ترعرع فيها و تزوج فيها شقيقتي إدلهايد و أنجب منها إبنتهما الوحيدة هايدي ، إلا أن توبياس قتل في حادث سيارة لتموت إدلهايد بعده حزنا عليه ، فأخذت هايدي لتعيش معي ، لكن الوضع إختلف الآن ، لا أستطيع الإعتناء بها هذه الأيام ، لذا سآخذها إلى جدها العم ألب و ليحدث ما يحدث)

وصلت ديتي و باربي و معهما هايدي و بيتر و من خلفه قطيع أغنامه متجه نحو كوخ خشبي أعلى المنحدر يعيش فيه مع والدته و جدته دون والده و جده الراحلين عن دنياهم منذ زمن طويل .

يبلغ بيتر من العمر حوإلى ١١ عاما ، يعمل راعيا للأغنام لدى أصحابها القرويين من سكان دورفلي خلال فصل الصيف حيث يأخذهن للرعي في المروج الجبلية الخضراء صباحا ، و في المساء يعيدهن إلى حظائرهن .

ودعت باربي ديتي بعدما آثرت الأخيرة الذهاب إلى كوخ بيتر بغية رؤية والدته بريجيت ، فصعدت إلى ما وراء الجبل ، و بعد ١٥ دقيقة من السير الشاق توقفت لبرهة من الزمن كي تأخذ قسطا من الراحة لعدم قدرتها على اللحاق ببيتر و أغنامه الذين سبقوها إلى قمة المنحدر و باتوا فوقها ، لكنها فوجئت بعدم وجود هايدي بجوارها حيث تأخرت الأخيرة عن ركبهم بعض الشيء جراء شعورها المتزايد بالضيق و الإرهاق و الإعياء و التعب من ملابسها الشتوية الثقيلة ، فما إن جلست على الأرض حتى خلعت معطفها و قفازيها الطويلين و فستانيها الصوفيين و وضعتهم جميعا بحذر في كيس ملابسها بحيث لم تعد ترتدي سوى فستانا قطنيا خفيفا لتتنفس الصعداء و تغمرها السعادة التامة ، فركضت مسرعة في إثر و أغنامه البيضاء حيث كانت خالتها ديتي بإنتظارها على أحر من الجمر (ماذا فعلت يا هايدي بحق الجحيم ؟! أين فساتينك الصوفية و معطفك الشتوي و حذائيك الطويلين ؟!!)

أشارت هايدي إلى كيس ملابسها الثقيلة الملقى أسفل المنحدر على بعد بضعة أمتار منهما مبررة تصرفها هذا بأنها لم تعد بحاجة إليهم ، فطلبت ديتي من بيتر أن يحضر كيس ملابسها الثقيلة السالفة الذكر مقابل حفنة من المال ، فإنطلق مسرعا إلى أسفل المنحدر و قفل راجعا بسرعة البرق حاملا كيس الملابس الثقيلة إلى ديتي لتضعها في جعبتها الجلدية (أريد منك الآن يا بيتر أن تحمل كيس ملابسها الثقيلة إلى كوخ العم الب)

بدأت ديتي بصعود المنحدر مجددا و من ورائها بيتر و هايدي إلى أن وصلوا جميعهم بعد مرور ساعة كاملة كوخ العم ألب الخشبي الذي يعتلي حافته الجبلية و يستطيع المرء من خلاله رؤية المنظر الأخاذ للجبل الثلجي و ما حوله من مروج و وديان خضراء أسفل وادي دورفلي و أشجار الصنوبر العتيقة و فروعها العملاقة الممتددة حول الكوخ حتى السهول الوسطى المزدانة و المزهوة بالورود الجميلة المحيطة بقممه العالية .

كان العم ألب يجلس على مصطبة خشبية خارج الكوخ ، يتأمل المروج الجبلية الخضراء و هو يدخن غليونه ، فركضت هايدي مسرعة نحوه و مدت يدها إليه لمصافحته (مرحبا جدي)

(ماذا قلت للتو ؟!)

توجس الرجل العجوز خيفة من الطفلة الصغيرة التي بدورها تراجعت إلى الوراء خوفا منه قبل أن تتدخل ديتي في الموضوع (هذه هايدي ، إبنة توبياس)

(لماذا هي هنا ؟)

(لقد إعتنيت بها طيلة أربعة أعوام ، لكن بعد حصولي على عمل جديد في المانيا لم أعد قادرة على الإهتمام بها أكثر من ذي قبل و يتوجب علي الآن الرحيل إلى هناك ، هايدي حفيدتك الوحيدة و ليس لديها أقرباء سواك ، إنها بأمانتك الآن ، إذا ما أصابها أي مكروه ستواجهك العديد من المتاعب أنت في غنى عنها)

إنتفض العجوز أمامها غاضبا (أغربي عن وجهي ، و لا تعودي إلى هنا أبدا ، مفهوم ؟)

(مفهوم)

إلتفتت ديتي إلى إبنة أختها هايدي و ودعتها قبل أن تطلق لساقيها الريح نحو أسفل الجبل دون أن تنظر خلفها حتى وصولها إلى دورفلي .

بعد رحيل خالتها أمام ناظريها ، جلس جدها العم ألب على مصطبته مجددا ، تجولت هايدي حول الكوخ مصغية إلى صوت الريح و هي ترج الأشجار رجا عنيفا ، عندئذ عادت إلى جدها و وقفت أمامه (أود رؤية الكوخ من الداخل)

(و هو كذلك ، أحضري أمتعتك)

أحضرت هايدي أمتعتها و تبعت جدها إلى الكوخ حيث وجدت هناك غرفة واحدة كبيرة الحجم و طاولة و كرسي وسطها و سرير كبير في إحدى زواياها ، و قبالة السرير موقد معدني معلق فوقه قدر يستخدم للطبخ .

فتح العم ألب الباب المحاذي للحائط حيث يقبع خلفه دولاب ضخم يحوي بداخله بعضا من ثياب العم ألب معلقة فيه إلى جانب الملاعق و الأطباق و الصحون و الأكواب و الكؤوس و الرفوف ، و على الرف العلوي يوجد الخبز و اللحم و الجبن ، فسألته هايدي (أين سأنام يا جدي ؟)

(نامي في أي مكان تحبينه)

تأملت سرير جدها المحاذي للحائط مجددا و السلم المتصل به حيث تسلقته و رأت فوقه العلية ، غرفة طويلة و ضيقة لديها سقف

عال مملوء بالقش الناعم الجاف المعمول من العشب الطويل الصالح للرعي بعدما قام العم ألب و معه بيتر بجزها من المراعي الصيف الماضي و تجفيفها تحت أشعة الشمس ليضعوها في العلية ، و في نهاية الغرفة توجد بؤرة دائرية الشكل تأملت هايدي من خلال نافذتها الزجاجية قرية دورفلي البعيدة عن ناظريها في أسفل الوادي (جدي ، سأنام هنا ، أنه مكان رائع ، سأصنع سريري الخاص من القش)

نزل العم ألب من العلية متجها نحو الدولاب ليجد فيها قطعة كبيرة الحجم من المعدن و حقيبة عدة حديدية ثقيلة الوزن ، فحملهما إلى العلية و وضعهما فوق سرير القش (أشكرك جدي ، لقد صار لدي الآن بطانية و فراش لسريري)

نزلت هايدي و جدها من العلية متجهين نحو الموقد ، أحضر العم ألب معه ملعقة طويلة و شوكة وضع في نهايتها قطعة كبيرة الحجم من الجبن ثم قربها من النار ، بعد ذلك أضحت الجبنة الصفراء الذهبية ناعمة تفوح منها رائحة الطعم اللذيذ و المذاق الشهي .

ركضت هايدي نحو الدولاب و أحضرت منه طبقين و سكينين و سلة خبز ثم وضعتهم على المائدة (رائع يا عزيزتي ، لكن ألم تنسي شيئا مهما ؟)

فكرت هايدي مليا ثم ركضت نحو الدولاب مجددا و أحضرت معها وعاء و كأس وضعتهما على المائدة أيضا (أين ستجلسين يا عزيزتي ؟)

أحضرت هايدي كرسيا خشبيا منخفض للغاية ، و عندما جلست عليه لم تتمكن من الوصول إلى المائدة ، فنهض جدها العم ألب من مكانه و قرب مقعده من كرسيها الصغير ، ثم ملأ الوعاء بالحليب الطازج و وضعه أمامها ، و في الأخير وضع قطعة كبيرة من الخبز و الجبن الشهي الساخن على طبقها (و الآن صار لديك مائدتك الخاصة ، كلي و إشربي فيها)

تناولت هايدي وجبة لذيذة للغاية من الحليب و الخبز و الجبن ، و بعدما أنهت طعامها أخرج العم ألب أدواته و بعض الخشب و صنع مقعدا خشبيا لهايدي .

في منتصف الظهيرة هبت رياح قوية رجت الأشجار المحيطة بالكوخ رجا عنيفا ، فركضت هايدي إلى الباب و قفزت من الفرح و أحبت سماع صوتها ، و فجأة ! سمعت ضجة و صفير في الخارج ، فأدرك العم ألب بأن بيتر قد وصل مع أغنامه إليه لأخذ خروفيه الصغيرين اللذين يعيشان في الحظيرة الصغيرة المجاورة للكوخ من الخلف

للرعي في المروج الجبلية الخضراء إلى جانب نظرائهم من أغنام القرويين كل صباح ثم يعيدهما إليه في المساء .

أحد الخروفين بني اللون و الآخر أبيض ، غادرا القطيع و ركضا مسرعين نحو سيدهما العجوز الذي أعطاهما قطعا صغيرة من الملح الذي يحبانه ، ثم ملأ الوعاء بالحليب المتدفق من ضرع خروفه الأبيض و أعطاه لهايدي بعدما أعطاها بعضا من الخبز (كلي هذا الخبز و إشربي الحليب ثم إذهبي إلى السرير و نامي جيدا)

(ما إسمهما يا جدي ؟)

(الأبيض يدعى ديزي أما الآخر فيدعى دوسكي)

بعدما ودعتهما هايدي أعاد العم ألب الخروفين إلى حظيرتهما ، و في تلك الليلة ، هبت رياح قوية جدا رجت الكوخ بأكمله ، فكر العم ألب بأن حفيدته قد تشعر بالخوف منها ، فصعد إلى العلية عبر السلم و نظر إلى نافذتها فرأى ضوء القمر يشع عليها و ينير وجه هايدي النائمة بأمان و سلام .

الفصل الثاني

يوم مع الأغنام

أشرقت شمس اليوم التالي بضوئها البراق على هايدي و دفعتها للإستيقاظ من نومها و النهوض من سريرها و إرتداء ملابسها على وجه السرعة ، في حين أخرج العم ألب ديزي و دوسكي من الحظيرة و سلمهما إلى بيتر المنتظر خارج الكوخ مع قطيعه (هل تودين الذهاب مع بيتر يا عزيزتي ؟)

(نعم يا جدي ، أرجوك)

(بيتر ، أعطني حقيبتك)

وضع العم ألب في حقيبة بيتر وعاء يحتوي على بعض الجبن و قطعة كبيرة من الخبز (هذا عشاء هايدي يا بيتر لا تنسى ذلك ، و هذا الكوب إملأه بحليب خرافي ، إعتني جيدا بحفيدتي و لا تدعها تقترب من المنحدرات الجبلية الشديدة الوعورة أو تسقط في الهاوية)

إستقرت الشمس الوهاجة بنورها البراق في كبد السماء الزرقاء و غطت الأزهار الجبلية الجميلة وجه البسيطة ، فركضت هايدي سعيدة نحوها و قطفت العديد منهم و وضعتهم في تنورتها المزركشة ،

فصـــرخ بيتـــر عليهـــا غاضـــبا (هيـــا يـــا هايـــدي ! لا وقـــت لـــدينا لقطـــف الأزهار)

و أخيرا وصلوا جميعهم إلى المرعى و بدأت الأغنام بإلتهام العشب الطازج فيها ، و لم يفصلها عن الهاوية الصخرية سوى بضعة أمتار لا أكثر و بعض الشجيرات المثمرة على طول أعلى منحدر جبلي هناك .

كـــان الجـــو دافئـــا و الوضـــع آمـــن فـــي المرعـــى لا يســـتدعي القلـــق مـــا دفـــع بيتـــر إلـــى التمـــدد علـــى العشـــب و غـــط فـــي نـــوم عميـــق تاركـــا هايـــدي بمفردهـــا تتأمـــل مـــا حولهـــا مـــن جبـــال و مـــروج و وديـــان و علـــى مرمـــى حجـــر منهـــا الجـــرف الصـــخري العميـــق الـــذي هـــو عبـــارة عـــن هـــوة ســـحيقة يصـــل عمقهـــا آلاف الأمتـــار حتـــى أســـفل الـــوادي ، و فـــي الطـــرف الآخـــر منـــه ظهر أمامها جبل جليدي شامخ تغطيه الثلوج الناصعة البياض .

و فجـــأة ! ســـمعت صـــراخا صـــادرا مـــن أعلـــى ، فمـــا إن تتبعـــت مصـــدره و القـــت نظـــره حتـــى رأت طـــائرا كبيـــرا يحـــوم فـــوق رأســـها ، فقفـــزت مـــن مكانهـــا مفزوعـــة تصـــرخ فـــي وجـــه بيتـــر و تناديـــه ليســـتيقظ مـــن نومـــه فزعـــا علـــى وقـــع صـــراخها المفـــاجئ و ســـؤالها الملـــح عـــن هـــذا الطـــائر المحلـــق فوقهمـــا تحليقـــات دائريـــة بغايـــة العـــرض مـــا يلبـــث أن يختفـــي عـــن ناظريهمـــا

إلى أقرب جبل منهما (إنه الصقر يا هايدي ، و هو عائد الآن إلى وكره)

(لنتسلق يا بيتر هذا الجبل الذي تعيش فيه تلك الصقور)

(كلا يا هايدي ، إن وكره بعيد للغاية ، و من الصعب علينا الوصول إليه ، حتى الأغنام غير قادرة على الذهاب إلى هناك)

في غضون ذلك ، بدأ بيتر يصفر و يصرخ على أغنامه اللائي إستجبن لندائه و تجمعن حوله في التو و اللحظة حيث قادهن إلى أسفل المنحدر ، و ما إن وصلوا إلى أكثر المراعي إنخفاضا فيه حتى بدأ بيتر بفتح حقيبته و إخراج الخبز و الجبن منها و كلاهما أصغر حجما مما لدى هايدي من طعام و لا يسدان رمقه ، فتوجه صوب ديزي و وضع وعاء هايدي الصغير تحت ضرعها و قام بحلبه (حان وقت العشاء يا هايدي ، إجلسي بجواري و تناولي الطعام معي)

(أهذا الحليب لي ؟)

(نعم يا هايدي ، و هاك الخبز و الجبن)

شربت هايدي الحليب كله و أكلت قطعة صغيرة من الخبز ، ثم أعطت ما بقي منه و الجبن لبيتر المتفاجئ و المسرور في آن معا من تصرفها هذا (ما أسماء هذه الأغنام يا بيتر ؟)

ظل بيتر يخبرها بإسم كل غنمة من أغنامه الواحد تلو الآخر ، فهذا إسمه التركي الكبير و ذاك فنتش و هؤلاء أسماؤهم دوسكي و ديزي و سبوت ..... و هلم جرا ، إلى أن وصل إلى إسم آخر غنمة منهم ألا و هي بياض الثلج التي كانت صغيرة السن جميلة المظهر بيضاء البشرة تثغو ثغاء حزينا ، فركضت هايدي نحوها و طوقت عنقها بذراعيها (لماذا تبكين يا بياض الثلج ؟)

(لقد فقدت والدتها التي بيعت من قبل مالكها الأصلي لشخص آخر يعيش في قرية ماينفيلد)

(لا تبكي يا بياض الثلج ، سأكون معك كل يوم ، بإمكانك المجيء إلي لو شعرت بالوحدة)

عندما أنهى بيتر طعامه أخذ هايدي و قطيعه مجددا إلى المرعى المرتفع ، فجلس على عشبه الأخضر يراقب أغنامه من بعيد قبل أن ينهض فجأة من مكانه فزعا و يركض مسرعا نحو حافة الجرف الصخري حيث وقعت أصغر أغنامه فنتش فيه ، فمد ذراعه إليها و

أمسكها من أحد ساقيها ، إلا أنه إنزلق إلى أسفل الجرف و كاد أن يسقط فيه مع فنتش الذي حاولت الإبتعاد عنه مرارا و تكرارا دون أن يتمكن من جرها إلى بر الأمان ، فنادى صارخا بأعلى صوته على هايدي طالبا منها يد المساعدة ، فجمعت بعض العشب الطازج و قربتها إلى فنتش التي أدارت وجهها نحوها و أكلت منها .

و أخيرا و بعد جهد جهيد تمكن كلاهما من سحبها إلى أعلى بعيدا عن الخطر ، لكن بيتر كان غاضبا للغاية منها ، فحمل عصاه و إنهال ضربا عليها ، فحاولت هايدي عبثا منعه من ضربها مما أثار دهشته جراء موقفها هذا ، فأسقط العصا من يده (لن أضربها شريطة أن تعيدنني بإعطائي بعضا من طعامك اللذيذ غدا)

(بإمكانك تناول طعامي كل يوم ، و لكن إياك أن تضرب فنتش أو أية غنمة أخرى بعصاك مجددا)

(و هو كذلك)

تأخر الوقت كثيرا و بدأت الشمس بالمغيب أمام هايدي و هي تتأمل غروب أشعتها الذهبية البطيء عن كبد السماء حيث مازالت تنشر ضوؤها البراق على المروج الخضراء و أزهارها الجميلة قبل أن تختبئ خلف جبال الألب الثلجية و يتضاءل حجمها الهلامي و يتغير لونها

الغازي من الأصفر الوهاج إلى الأحمر الناري الغاضب يحرق بنيرانه الملتهبة ما يقابل طريقه من بشر و شجر (بيتر ! الشمس تحولت إلى نار مشتعلة تحرق الجبال و الثلوج و السماء معا !)

(لا يوجد نار هناك يا هايدي ، إنه الشفق الذي يجعل لون السماء أحمر عند حلول المساء)

(ما أسماء هذه الجبال ؟)

(ليس لديها أسماء)

و في الأخير توارت الشمس بين الجبال الجليدية و ذاب ضوؤها الجميل وسط ثلوجها البيضاء ، فشعرت هايدي بالأسى عليه ، سرعان ما صفر بيتر مجددا على أغنامه و نادى على هايدي إيذانا بالرحيل و مغادرة المكان و العودة إلى المنزل .

جلست هايدي على مقعدها الجديد المرتفع عن الأرض و تناولت الحساء (جدي ، لما لا يكون للجبال أسماء ؟)

(من قال لك يا عزيزتي أن الجبال ليست لديها أسماء ؟ صفي لي إحداهن و سأخبرك عن إسمها)

وصفت له للعم ألب جبلا مكسوا بالثلوج (إنه جبل سيسابلانا)

بعد ذلك ، أشارت إلى إحدى الجبال الواقعة خلف الكوخ مكونة من قمتين صخريتين (إنه جبل فالكنز)[1]

و ظلت هايدي تصف لجدها العم ألب الجبال المحيطة بهم الواحدة تلو الأخرى و هو بدوره يخبرها بأسمائهن (هل قضيت وقتا ممتعا اليوم يا عزيزتي ؟)

أوه بلى يا جدي ، و لا سيما مشهد الجبل و هو يحترق بأشعة الشمس ، إلا أن بيتر نفى ذلك تماما ، فبرأيك ماذا حدث له بالضبط ؟)

(الذي حدث يا عزيزتي هو أن الشمس وقت المغيب تودع الجبال و تقول لهن مساء الخير ، فتشع عليهن بضوئها الأحمر الجميل عند الغروب ، فتظل الجبال تتذكرها في مخيلتهن الصلبة حتى صباح اليوم التالي)

[1] أحد جبال الألب السويسرية على مشارف الحدود الالمانية – النمساوية (المترجم) .

الفصل الثالث

زيارة الجدة غراني

ظلت هايدي طوال فصل الصيف ترافق بيتر و أغنامه في طريقهم إلى المراعي الجبلية الخضراء يداعب وجهها البشوش أشعة الشمس و يستحم بنوره الذهبي ليضحى برونزي اللون ، لكن ما إن حل فصل الخريف محله حتى هبت الرياح الشديدة عليهم ، فحذر العم ألب حفيدته الصغيرة من الخروج من الكوخ في هذا الوقت (من الآن فصاعدا يا عزيزتي عليك البقاء في المنزل ، هذه الرياح القوية قادرة على رميك بسهولة إلى أسفل المنحدر)

لم تخف هايدي شعورها بالسعادة و شغفها الزائد بسماع صوت الريح و هو يهز بعنف أشجار الصنوبر العملاقة القريبة منها و رؤية جدها و هو يصنع أشياء جميلة من الخشب .

و سرعان ما أزاح فصل الشتاء أخيه الخريف من مكانه و أصبح الطقس باردا للغاية ، فرحت هايدي حينها بإرتداء ملابسها الصوفية الثقيلة و قفازيها الدافئين و حذائيها الطويلين بعدما بدأت السماء تثلج في إحدى الليالي لساعات طوال .

في صباح اليوم التالي ، لم يتمكن بيتر من أخذ الأغنام إلى المرعى المرتفع كعادته بعدما غطى الثلج الأبيض الكثيف كل ما فيها من عشب و شجر و صخر و ماء ، راقبت هايدي من النافذة كرات الثلج المنهمرة و هي تتساقط بسرعة على الأرض .

مر اليوم الثاني على هبوب العاصفة الثلجية و لم تتمكن هايدي و جدها العم ألب من الخروج من الكوخ بعدما غطت الثلوج أبوابه و نوافذه البسيطة ، فظل العم ألب يزيلها عدة ساعات برفشه الكبير .

و في منتصف الظهيرة ، جلس مع حفيدته هايدي أمام الموقد ليتدفأ بنارها الساخنة ، و فجأة ! طرق أحد المارة الباب طرقا شديدا ، فذهب العم ألب ليرى من الطارق ، فإذا هو بيتر و قد غطت الثلوج ملابسه و حذائه و تجمد جسده الضئيل من شدة البرد ، فرحب بالعم ألب و جلس معه أمام الموقد الدافئ (حسنا يا بيتر ، كيف حال دراستك ؟)

(دراسته ؟!)

(أجل يا عزيزتي ، ففي فصل الشتاء يضطر بيتر إلى الذهاب للمدرسة لتعلم أصول القراءة و الكتابة هناك)

هكذا تحدث بيتر مع هايدي عن المدرسة أثناء ما كان العم ألب يعد الطعام لهم ، و ما إن رأى اللحم و الخبز في متناول يديه حتى إتسعت عيناه من فرط الدهشة ، فلم يعتد على تناول هذا الكم الهائل من الطعام بجانب الحساء طبقه المعتاد .

ما إن بدأت السماء يتبدل لونها مع حلول الظلام شيئا فشيئا إلى الداكن الغارق في السواد حتى إستأذن بيتر منهم ليعود إلى كوخه بعدما شكرهم على حسن ضيافتهم له و سوف يزورهم مجددا يوم الأحد القادم ، و قبيل مغادرته بلحظات سلم هايدي رسالة من جدته غراني تدعوها لزيارتها غدا صباحا .

مضت ثلاثة أيام على تساقط الثلوج الغزيرة دون أن تفقد نعومتها و رطوبتها قط قبل أن تتجمد و تتحجر و تتصلب في مكانها أكثر من ذي قبل بعدما إزداد الطقس برودة و صقيعا في اليوم الرابع على التوالي .

(لقد أشرقت الشمس اليوم يا جدي ، علي الذهاب إلى منزل بيتر لزيارة جدته غراني)

صعد العم ألب إلى العلية و أخرج المعطف من سرير هايدي (هيا بنا يا عزيزتي إذن)

بـــدت الأرض المحيطـــة بـــالكوخ بمـــن فيهـــا أشـــجار الصـــنوبر مكســـوة بالثلوج البيضاء البراقة (أنظر يا جدي إلى أشجار الصنوبر)

ســـحب العـــم ألـــب زلاجتـــه الخشـــبية مـــن الحظيـــرة و ألـــبس هايـــدي المعطـــف ليـــدفئها ، ثـــم جهـــز الزلاجـــة الخشـــبية و وضـــع هايـــدي فوقهـــا ، بعـــد ذلـــك دفعهـــا بقدمـــه علـــى الأرض حتـــى تتحـــرك فـــوق الثلـــوج الصـــلبة حيـــث ســـافر كلاهمـــا بهـــا إلـــى أســـفل الجبـــل بســـرعة فائقـــة أوصـــلتهما كـــوخ بيتـــر فـــي التـــو و اللحظـــة (يمكنـــك رؤيـــة جـــدة بيتـــر الآن ، عنـــدما تبـــدأ الشمس بالمغيب عليك العودة فورا إلى المنزل)

قفـــل العـــم ألـــب عائـــدا إلـــى منزلـــه ســـاحبا زلاجتـــه الخشـــبية خلفـــه ، فتحـــت هايـــدي بـــاب الكـــوخ و دخلـــت إلـــى غرفـــة ضـــيقة ســـقفها واطـــئ تجلـــس فيـــه إمراتـــان ، إحـــداهما تجلـــس علـــى الطاولـــة و تحيـــك المعطـــف الـــذي بحوزتهـــا و تـــدعى بريجيـــت و هـــي والـــدة بيتـــر تعتـــاش مـــن حياكـــة و صـــناعة و بيـــع الملابـــس ، أمـــا الأخـــرى فـــأكبر منهـــا ســـنا و تجلـــس فـــي ركـــن بعيـــد من أركان الغرفة ، فإتجهت هايدي إليها (مرحبا غراني ، ها أنذا)

مـــدت العجـــوز يـــدها نحـــو هايـــدي و تحســـست كفهـــا الصـــغير بشـــدة (هـــل أنت الطفلة التي تعيش مع العم ألب ؟ هل أنت هايدي ؟)

(بلى)

(بريجيت ، صفي لي شكل هذه الفتاة ؟)

(إنها نحيلة كأمها ، و عيناها سودوان و شعرها مجعد كوالدها توبياس و جدها العم ألب)

تأملت هايدي الغرفة بتمعن (غراني ، إحدى المصاريع الحديدية خارج نافذتكم معطل و يصدر صوتا مزعجا و يضربها بشدة ، سوف يكسر زجاجها ! أنظري !)

لا يمكنني رؤيته البتة ، لكن عندما تهدأ الريح أسمع جيدا صوته المزعج الفظيع الذي يصدره بحيث لا أستطيع النوم و أظل مرعوبة و قلقة للغاية طوال الليل خوفا من إنهيار الكوخ جراء الأشياء المكسورة التي تنهال علينا)

(لماذا لا يمكنك رؤية المصراع ؟)

(لأنني عمياء يا طفلتي العزيزة هايدي ، لا أستطيع الرؤية بتاتا)

ما أن سمعت هايدي ما قالته غراني للتو حتى إنزعجت للغاية و أجهشت بالبكاء (أوه يا عزيزتي ، لا يمكنني أن أرى بل أسمع فقط ، و من حسن حظي أن أصغيت لصوت ودود مثل صوتك ، خبريني عن جدك و حياتك فوق الجبل ماذا تفعلين هناك ؟)

جففت هايدي دموعها ببطء (سأخبر جدي عن مشاكلك ، إنه قادر على فعل أي شئ ، سيرمم كوخك و يعيد إليك بصرك مرة أخرى)

ما إن وصل بيتر حتى تفاجأ مبتهجا برؤية هايدي مع جدته غراني (بيتر ؟! هل عدت مبكرا من المدرسة يا حفيدي العزيز؟!! لقد منتصف الظهيرة بلمح البصر ، كيف أضحى مستوى القراءة لديك؟)

(مازال على حاله يا جدتي ؟)

(أرجو من الله يا هايدي أن يتمكن حفيدي بيتر من تعلم القراءة سريعا)

ركضت هايدي مسرعة نحو كوخ العم ألب الخشبي على قمة الجبل ليلحق بيتر في إثرها قبل أن يتفاجأ كلاهما برؤية العم ألب أمامهما و قد سبقهما بالنزول إليهما حيث غطى حفيدته الصغيرة بكنزته الصوفية و حملها بين ذراعيه إلى المنزل .

(جدي ، عليك غدا إحضار أدواتك إلى كوخ بيتر و تقوم بإصلاح مصراع نافذة غراني ، إنه يصدر صوتا مزعجا و مخيفا للغاية أثناء هبوب الرياح و يثير فزعها الشديد ليلا ، كما إنه يمكنك مساعدتها في إستعادة بصرها مجددا)

(مستحيل أن أعيد إليها بصرها يا عزيزتي ، لكني قادر على إصلاح مصراع نافذتها المكسور)

في عصر اليوم التالي ، نزل العم ألب مع هايدي مجددا عبر زلاجته الخشبية إلى كوخ بيتر ، فبدأ بإصلاح المصراع المكسور تاركا هايدي مع غراني يتحدثان في أمور شتى عن هذه الحياة ، فرأته بريجيت و شكرته على مساعدته لهم (أنا و أمي مسرورتان جدا لحضورك ، هلا تفضلت بالدخول رجاء ؟ أمي تود شكرك بنفسها)

(كلا ! لن أدخل إليكم ! سأصلح كوخكم من الخارج فقط !!)

بعد ذلك صعد العم ألب إلى السقف و أصلح بعض التشققات الموجودة فيه أيضا ، ما أن بدأت الشمس بالمغيب حتى ذهبت هايدي نحو جدها ليقوم تغطيتها بالكنزة الصوفية و يحملها عبر زلاجته الخشبية عائدين إلى منزلهما ، غالبا ما كانت تزور هايدي غراني خلال فصل الشتاء دون إنقطاع حيث أحبت هذه العجوز العمياء التي لم تعرف السعادة و الأمل طريقا إلى قلبها لأعوام طوال حبا شديدا ، و سرعان ما بادلتها الأخيرة نفس الشعور و إنتظرت زياراتها المتكررة إلى كوخها بفارغ الصبر و سؤال بريجيت الدائم عن

صـــحتها ســـواء أكانـــت موجـــودة عنـــدهم أم لا (تبـــدو بصـــحة جيـــدة كالتفاحة الطازجة !)

مـا أن أوشـك الشـتاء علـى الرحيـل حتـى حمـل العـم ألـب أدواتـه و عدتـه متجهـا نحـو كـوخ بيتـر و رممـه بالكامـل ، و منـذ ذلـك الحـين لـم تعـد غرانـي تخشـى شـيئا حـدوث أصـوات مزعجـة تصـدر مـن مصـراع نافـذتها في الليل بعد اليوم .

الفصل الرابع

الزائرتان

مضى عامان على وجودها هناك بعدما بلغت السابعة من عمرها و مازال بيتر يبعث بالرسائل العديدة التي كتبتها إدارة مدرسته في دورفلي إلى العم ألب تطالبه بسرعة إرسال حفيدته الصغيرة إلى المدرسة كي تتعلم القراءة و الكتابة حيث يرد عليهم في كل مرة بنفس الرد ألا و هو رفضه القاطع إرسالها إلى المدرسة مصرا على بقائها معه في المنزل .

ما إن حل شهر مارس حتى بدأ الشتاء يلملم أمتعته الباردة و دثاره الجليدي القارس مفسحا المجال أمام شروق الشمس الدافئة و ذوبان الثلوج البيضاء المحيطة بالجبال إحاطة السوار بالمعصم تحت وطأة أشعتها الذهبية الساطعة .

فتحت هايدي الباب خلال الصباح الباكر إبتهاجا بقدوم الربيع فإذا بها ترى رجلا مسنا يقف أمام الكوخ ، فأوجست خيفة منه (لا تخافي يا صغيرتي ، لا بد أنك هايدي ، أليس كذلك ؟)

(بلى)

(أين جدك ؟)

(إنه بالداخل يصنع الملاعق الخشبية)

لم تكن تعرف هايدي أن الرجل الغريب هو أسقف كنيسة دورفلي إلا بعد أن رحب به جدها بحفاوة بالغة لم يسبق لها مثيل لمعرفته القديمة به عندما كان صديقه الوفي و جاره القديم في السكن منذ عقود مضت ، لذا لم يخف العم ألب من رؤيته بعد كل هذه السنين (صباح الخير أيها الأسقف !)

(صباح الخير يا ألب ، جئت إليك بخصوص حفيدتك هايدي ، عليك أن ترسلها إلى المدرسة يا عزيزي)

(كلا أيها الأسقف ، هايدي سترعرع بغاية السعادة هنا مع الأغنام و الطيور)

(لكنها ليست غنمة أو طير ، بل فتاة صغيرة يتوجب عليها تعلم القراءة و الكتابة ، لما لا تعود إلى دورفلي في الشتاء القادم ؟ الجميع هناك سيكونون ودودين معك)

(كلا ! لن أرسل حفيدتي إلى المدرسة و لن أعود إلى دورفلي للعيش فيها مجددا ! واضح ؟)

رحل الأسقف عنه يجر وراءه أذيال الخيبة ، إلا أنه بعد يومين إستقبل زائرا آخر لا يطاق بالنسبة له ألا و هي خالة هايدي ديتي مرتدية هذه المرة فستانا ناعما جميلا و قبعة مزركشة بالريش الكثيف (كيف حالك يا عزيزتي ؟ ! تبدين على ما يرام ! .... عم ألب ، جئت إليك لأحدثك بأمر يتعلق بمستقبل هايدي ، لقد تعرفت على عائلة غنية جدا من فرانكفورت تدعى عائلة سيسمان ، لدى ربها السيد سيسمان ابنة مشلولة غير قادرة على السير إلا بكرسي متحرك إسمها كلارا و هو يبحث عن صديقة لها ترافقها أينما حلت ، فأخبرتهم عن هايدي و يريدون مقابلتها)

(لا يهمني أمر هذه العائلة أبدا)

(عم ألب ، قريبا ستبلغ هايدي سن الثامنة دون أن تتعلم شيئا من أمور الحياة ، بل إنك لم ترسلها إلى المدرسة أو تدعها تقابل الناس و تختلط بهم حتى ، أنت لا ترعاها بما فيه الكفاية ....)

(كفى ! ..... و هو كذلك ! لكن لو حاولت إبعادها عني فلا تعودي إلى هنا أبدا ، مفهوم ؟)

خرج العم ألب من كوخه غاضبا تاركا ديتي مع إبنة أختها الصغيرة لتطلب منها إحضار جعبة ملابسها و إرتداء قبعتها كي ترحل معها إلى

فرانكفـــورت ، لكـــن هايـــدي تقابـــل خالتهـــا بـــالرفض (كـــلا يـــا خالـــة ديتـــي ، لن أسافر معك)

(هايـــدي ! جـــدك غاضـــب جـــدا منـــا و لا يريـــد رؤيتنـــا مجـــددا ، هـــو مصـــر علـــى رحيلـــك معـــي ، لكـــن إن لـــم ترغبـــي بـــالعيش فـــي فرانكفـــورت فبإمكانك العودة إلى هنا متى شئت)

(هل بإمكاني العودة إلى هنا عند المساء ؟)

(كـــلا يـــا عزيزتـــي ، فرانكفـــورت بعيـــدة للغايـــة كـــل البعـــد عـــن هنـــا ، سنســـافر اليوم إلى ماينفيلد و غدا سنكمل طريقنا إلى فرانكفورت)

شـــددت ديتـــي قبضـــتها علـــى يـــد هايـــدي و هـــي تجرهـــا خلفهـــا حاملـــة بيـــدها الأخـــرى جعبـــة ملابســـها معهـــا بســـرعة قصـــوى إلـــى أن وصـــلتا إلـــى منتصـــف الطريـــق الواقـــع أســـفل المنحـــدر الجبلـــي ، و هنـــاك إلتقيـــا ببيتـــر الـــذي رآهمـــا بهذا المنظر (إلى أين أنت ذاهبة يا هايدي ؟!)

(إلى فرانكفورت مع خالتي ديتي ، لكني سأمر بمنزلكم لرؤية غراني)

(كلا يا هايدي ! ليس لدينا وقت نضيعه لرؤية غراني و توديعها)

شـــددت ديتـــي قبضـــتها أكثـــر فـــأكثر علـــى يـــد هايـــدي تجرهـــا بقـــوة خلفهـــا و هـــي تواصـــل طريقهـــا بخطـــى متســـارعة غيـــر مباليـــة لصـــراخها و أنينهـــا الحـــاد .

ركـــض بيتـــر نحـــو كوخـــه صـــارخا بـــأعلى صـــوته (لقـــد أخـــذت ديتـــي هايـــدي بعيدا عن هنا !)

و مـــا إن ســـمعت غرانـــي مـــا قالـــه بيتـــر للتـــو حتـــى فتحـــت نافـــذتها علـــى مصـــراعيه (رجـــاء يـــا ديتـــي ، لا تبعـــدي هـــذه الطفلـــة الصـــغيرة عنـــا ، اهـــئ اهئ اهئ)

(أريد رؤية غراني و توديعها يا خالة ، اهئ اهئ اهئ)

(لـــيس لـــدينا متســـع مـــن الوقـــت يـــا عزيزتـــي ، علينـــا اللحـــاق بالقطـــار قبـــل فـــوات الآوان ، ستقضـــين وقتـــا ممتعـــا فـــي فرانكفـــورت ، و عنـــدما تعـــودين إلى هنا مجددا ، ستحضرين معك هدية لغراني)

(و ما نوع هذه الهدية ؟)

(لعلها تحب بعضا من حلوى السويسرول)

(فكـرة جيـدة ، إنهـا لا تحـب الخبـز فهـو بنظرهـا قـاس للغايـة ، لنسـرع يـا خالـة قبـل أن يفوتنـا القطـار .... أيمكننـا شـراؤها مـن فرانكفـورت اليـوم؟ كي أحضرها معي لغراني عما قريب)

مـا إن وصـلا إلـى دروفلـي حتـى تجاوزاهـا سـريعا متجـاهلين عمـدا سـكانها المتعـاكظين حـولهم محـاولين عبثـا بأسـئلتهم اللحوحـة الإستفسـار عـن صحتهما و وجهتهما دون جدوى .

منـذ رحيـل هايـدي حتـى عـاد العـم ألـب إلـى هدوئـه و إنعزالـه المعتـاد و مغادرتـه أحيانـا لكوخـه الجبلـي إلـي البلـدة حـاملا معـه سـلة كبيـرة علـى ظهـره مليئـة بـالجبن الأصـفر المـدور مـن صـنع يديـه لبيعهـا فـي السـوق دون أن يجـرؤ أحـد مـن سـكانها علـى محادثتـه خوفـا مـن إشـعال غضـبه الخامـد المرسـوم فـي وجهـه البـارد الجـاف فيهـوي بعصـاه الثقيلـة علـيهم ، إضـافة إلـى توقفـه عـن زيـارة كـوخ غرانـي للإطمئنـان عليهمـا و التخفيـف عـن إشـتياقها و إفتقادهـا الحـار لهايـدي كثيـرا بعـدما تـرك غيابهـا فراغـا كبيرا و جرحا غائرا لا يندمل في قلبها الحزين على فراقها الصعب .

الفصل الخامس

حياة جديدة

ما إن حضرت هايدي إلى منزل آل سيسمان في فرانكفورت مع خالتها ديتي حتى أضحت مع مرور الأيام صديقة حميمة لكلارا سيسمان على الرغم من أنها مشلولة و لا تذهب إلى المدرسة حيث تتلقى في الغالب دروسها داخل منزلها الذي لا تبرحه أبدا منذ وفاة والدتها حتى يومنا هذا، لذا أحضر لها والدها مدبرة منزل ترعاها و تهتم بأمور البيت و شئونه الداخلية تدعى آنسة روتينهايمر .

طرقت ديتي باب المنزل الأمامي طرقا عنيفا أجبر الخادم ذو المعطف السميك و الأزرار الفضية المدعو سباستيان على القدوم في التو و اللحظة و فتحه لها (هل يمكنني رؤية الآنسة روتينهايمر رجاء ؟ هذه إبنة أختي هايدي التي ستكون مرافقة الآنسة كلارا)

أشار سباستيان على ديتي بأن تتواصل مع الخادمة تينيت و قرع الجرس الموضوع على الطاولة المقابلة لهم لإستدعائها ، فما إن قرعت الجرس حتى هرولت تينيت نحوها على وجه السرعة لتقود ديتي و هايدي إلى غرفة مريحة ذات رفوف مكتظة بالكتب المخصصة للدراسة حيث تتلقى فيها كلارا دروسها مع الآنسة روتينهايمر ، لقد

كانت فتاة صغيرة السن تحلس على كرسي متحرك بشعرها الأصهب و وجهها الأسطواني و عينيها الزرقاوين ، أما آنسة روتينهايمر فطويلة القامة نحيلة الجسد ترتدي قبعة قبيحة المنظر على رأسها الأسطواني المليء بالتجاعيد تعاين هايدي بغاية التمحيص و التمعن و تسألها بصوت بارد جاف (ما إسمك؟)

(هايدي)

(يا له من إسم غريب يا آنسة ديتي !)

(إسمها الحقيقي إدلهايد يا آنسة روتينهايمر)

(تبدو صغيرة للغاية ، لقد طلبنا منك طفلة بنفس عمر الآنسة كلارا التي تبلغ حاليا الثانية عشرة من عمرها .... كم عمرها يا ترى ؟)

(حوالي عشر سنوات على ما أعتقد)

(سأبلغ قريبا الثامنة من عمري ، جدي أخبرني بذلك)

(لم تبلغي الثامنة بعد يا صغيرتي إذن ؟! إنها أصغر سنا من الآنسة كلارا بكثير يا آنسة ديتي ..... ما نوع الكتب التي درستها ؟)

(و لا كتاب ، فانا لم أتعلم القراءة بعد)

(ماذا ؟! لم تتعلمي القراءة أصلا ؟!)

إلتفتت الآنسة روتينهايمر بغضب شديد إلى ديتي (لما أحضرت هذه الفتاة معك إلى هنا ؟ أصغر من الآنسة كلارا و أيضا لا تعرف القراءة بعد؟)

(أنا آسفة جدا يا آنسة روتينهايمر ، مضطرة للذهاب الآن)

ما إن قالت ديتي آخر جملة حتى لاذت بالفرار سريعا من مطاردة آنسة روتينهايمر لها تاركة كلارا مع هايدي لوحدهما في غرفة الدرس (هل تريدين أن أناديك هايدي أم إدلهايد ؟)

(الجميع ينادونني بهايدي)

(حسنا ، و أنا بدوري سأناديك بهايدي مثلهم)

(من الآن فصاعدا سنصبح أصدقاء و نتلقى دروسنا على يد أستاذي سيد يوشر حيث يمكنك تعلم القراءة و الكتابة طالما أنت مقيمة هنا)

عادت الآنسة روتينهايمر إلى غرفة الدرس بعد دقائق معدودات حيث قرعت الجرس و لبى كلا من سباستيان و تينيت النداء على وجه السرعة (حان وقت الطعام ... تينيت ، سباستيان ، إذهبا و أعدا الغرفة لهذه الفتاة)

قاد سباستيان الآنسة كلارا إلى غرفة الطعام ثم حملها إلى كرسيها المقابل للمائدة التي كانت تتواجد فيها كميات من السويسرول و الخبز الأبيض بالقرب من طبق هايدي ، فتذكرت الهدية التي سترسلها إلى الجدة غراني ، فأخذت بعضا منهم و وضعتهم في جيبها

بدأت الآنسة روتينهايمر بمخاطبة هايدي عن حياتها الجديدة في منزل السيد سيسمان و كيفية التعامل مع أفراد عائلته دون أن تصغي لها جيدا بعدما شعرت بالنعاس الشديد و نامت من فرط الإرهاق النابع من رحلتها الطويلة من سويسرا إلى المانيا أمام كلارا التي إبتسمت من منظرها البريء ذاك ، فإستدعت الآنسة روتينهايمر الخدم كي يحملوها إلى غرفتها على الفور .

في صباح اليوم التالي ، إستيقظت هايدي من نومها الطويل و تأملت ما حولها حيث كانت ممددة على سرير أبيض و مرتفع كثيرا عن الأرض داخل غرفة غريبة عنها للغاية ، ركضت نحو النوافذ لترى ما يدور في الخارج دون أن تتمكن من الوصول إليهن كي تفتحهن لصغر حجمهن و علوهن الشديد عن الأرض ، لكنها سرعان ما عادت إلى مكانها لحظة دخول الآنسة روتينهايمر العنيف إلى غرفتها (إدلهايد ! إرتدي ثيابك حالا ، حان وقت الإفطار)

بعد تناولهما الإفطار توجهت الفتاتان هايدي و كلارا إلى غرفة الدرس تنتظران قدوم السيد يوشر أستاذ الأخيرة إليهما (هل يمكنني فتح النوافذ في غرفتي يا كلارا ؟)

(دعي الأمر لسباستيان ، سيقوم بفتحهن لك)

عندما وصل السيد يوشر إلى منزل آل سيسمان قادته الآنسة روتينهايمر إلى غرفة الطعام لتحدثه عن هايدي (لدينا مشكلة سيد يوشر مرتبطة بالطفلة الجديدة المدعوة إدلهايد ، إنها غير مناسبة تماما لتكون رفيقة الآنسة كلارا ، إضافة إلى إنها لا تعرف القراءة أو الكتابة و غير قادرة على تعليم نفسها ، على السيد سيسمان إبعادها عن هنا و إعادتها إلى منزلها فورا)

(لكن ربما تتمكن من تعلم القراءة أو الكتابة على يدي)

توجه السيد يوشر إلى غرفة الدرس مع الآنسة روتينهايمر التي تفاجأت بسماعها صوت سقوط شيء ثقيل على الأرض ، فركضت إلى الغرفة بسرعة البرق لتصطدم بمنظر الأوراق و الكتب المبعثرة و المحبرة المكسورة و بساط الطاولة الممزق على الأرض و بقايا الحبر المتناثر يلطخ السجادة دون أن تلاحظ وجود هايدي البتة (أين إدلهايد ؟! بالتأكيد هي من صنعت ذلك العبث !)

(لقد كان حادثا غير مقصود آنسة روتينهايمر ، لقد خرجت من الغرفة و هي تجر وراءها بساط الطاولة ، فأوقعتها على الأرض)

صعدت آنسة روتينهايمر عبر السلالم في أثر هايدي التي كانت واقفة قبالة الباب الأمامي للبهو تتأمل من خلاله ما يدور في الشارع المجاور للمنزل قبل أن تصرخ غاضبة في وجهها (إدلهايد ! لما تهربين من دروسك ؟!)

(أصغيت لصوت الريح التي يهز أشجار الصنوبر دون أن أجد أي أثر لهم)

في ذلك الحين ، كانت العربات المارة أمامهم في شوارع فرانكفورت[٢] تصدر عجلاتها الكبيرة ضجيجا مزعجا على الأرض يشبه صوت الريح التي ترج أشجار الصنوبر بالقرب من كوخ جدها الخشبي الكائن في الجبال العالية (أشجار الصنوبر ؟! فرانكفورت ليست وسط الغابة أيتها الحمقاء ! لا تتركي مكانك في غرفة الدرس و إلا ربطتك بعرض الكرسي !)

في كل منتصف ظهيرة و بعد العشاء تذهب كلارا إلى غرفتها كي تستريح تاركة هايدي لوحدها ، و في ذلك اليوم بحثت الأخيرة عن

[٢] مدينة المانية في ولاية ماينز و بها أهم مصانع آلات الطباعة في العالم و هي المقر الرئيسي للبنك الاوروبي (المترجم) .

سباستيان طالبة منه أن يفتح نوافذ غرفتها الطويلة ، ففتح لها إحداها لغرفة الجلوس و تأملت من خلال شرفتها العريضة مئات الشوارع و المنازل الملاصقة لهم فقط (هل بإمكاني رؤية الوادي بأكمله ؟)

(عليك الصعود إلى أعلى بناية في المدينة ، فما رأيك ببرج الكنيسة ؟ إنه طويل للغاية و مرتفع عن سطح الأرض بما فيه الكفاية)

و ذات منتصف ظهيرة بحثت عن سباستيان طالبة منه أن يفتح نوافذ غرفتها العالية ، ففتح لها إحداها ، و ما إن تأملت أسفل شرفتها حتى رأت الشوارع و مئات البيوت الملاصقة لها فقط (هل بإمكاني رؤية الوادي بأكمله يا سباستيان ؟)

(عليك الصعود إلى أعلى بناية في المدينة ، فما رأيك ببرج الكنيسة ؟ إنه طويل كفاية)

ركضت هايدي إلى الباب الأمامي و خرجت من خلاله إلى الشارع المجاور دون أن تتمكن من العثور على كنائس ذات أبراج طويلة للغاية ، بعد ذلك رأت فتى واقفا على قارعة الطريق يعزف على الأكورديون[٣] ألحانا موسيقية عذبة أمام الناس مقابل ما يتكرمون عليه

[٣] آله موسيقية غربية تعمل بالنفخ إخترعوها الفرنسيون في القرن الثامن عشر (المترجم) .

من المال (يا صاح ، هل يمكنك أن تأخذني إلى كنيسة ذات برج مرتفع ؟)

(لو أعطيتني بعضا من المال فسآخذك إلى هناك فورا)

(ليس لدي نقود ، لكن صديقتي كلارا لديها بعض المال و ستعطيك إياها حالما نعود إليها)

أخذ الفتى هايدي إلى شارع فرعي طويل قادهم إلى كنيسة قديمة ذات برج طويل إلا أن أبوابها موصدة أمامهم ، و مع ذلك رأت جرسا معلقا على إحداها ، فقرعته بشدة (لا أعرف كيفية العودة إلى المنزل ، هلا إنتظرتني و أرشدتني للمكان الذي أتينا منه قبل لحظات ؟)

(و هو كذلك شريطة أن تعطيني المزيد من المال)

(بعد ثوان معدودات ، فتح باب الكنيسة العتيق أمامهم من قبل رجل عجوز يعرف بحارس البرج (هل يمكنني يا عماه الصعود إلى البرج ؟)

(بالطبع يا صغيرتي ، تعالي معي)

صعدت هايدي معه إلى أعلى البرج عبر سلالمه الحجرية الكبيرة حتى وصولهما بعد جهد جهيد إلى شرفته العالية ، إلا إنها لم تتمكن من رؤية أي أثر لأشجار الصنوبر أو الجبال الثلجية الشامخة الموجودة

فـــي بلادهـــا ، كـــل مـــا إســـتطاعت رؤيتـــه آنـــذاك كـــان أســـقف و مـــداخن البيـــوت و أبـــراج المبـــاني العاليـــة الأخـــرى فـــي هـــذه المدينـــة ، فشـــعرت بـــالحزن الشـــديد مـــا دفـــع الحـــارس العجـــوز إلـــى إنزالهـــا مـــن هنـــاك و يقودهـــا إلـــى غرفتـــه المتواضـــعة داخـــل الكنيســـة التـــي مـــا إن ولجـــت إليهـــا حتـــى رأت فـــي إحـــدى زواياهـــا المعتمـــة قطـــا ضـــخما رمـــادي اللـــون يجلـــس بجـــوار ســـلة مكتظـــة بثمانيـــة مـــن الهـــرر الصـــغيرة (ربـــاه ! الســـن جمـــيلات المنظـــر يـــا عماه ؟)

ركضـــت نحـــوهن و هـــن يـــداعبن بعضـــهن الـــبعض (هـــل تحبيـــنهن يـــا صـــغيرة إلى هذا الحد ؟ يمكنك إقتنائهن إن رغبت بذلك)

عـــرض الحـــارس العجـــوز الســـخي لهـــا جعلهـــا بغايـــة الفـــرح و الســـرور ، ســـيما و أنهـــا رأت مـــن قبـــل المزيـــد مـــن الغـــرف المخصصـــة للقطـــط داخـــل منـــز صـــديقتها الآنســـة كـــلارا الكبيـــر (أيـــن تقيمـــين يـــا صـــغيرة كـــي أحضـــرهن لك غدا ؟)

(أقـــيم فـــي منـــزل الســـيد سيســـمان حيـــث قبالـــه بابـــه الأمـــامي رأس كلـــب مصنوع من الذهب الخالص)

(منزل السيد سيسمان ؟ أعرفه جيدا ؟)

(هل يمكنني أخذ هرتين الآن ؟)

(بلى يمكنك ، سأحضر لك الباقي غدا)

إبتسمت هايدي و أخذت الهرتين و وضعتهما في جيوب فستانها و من ثم أعادها عازف الأكورديون الجوال إلى منزل آل سيسمان ، فما إن رفعت رأس الكلب الذهبي و طرقت الباب به حتى فتح سباستيان لها على الفور (أدخلي فورا ! أين كنت يا صغيرة ؟! الآنسة روتينهايمر تشتاط غضبا منك الآن !)

أغلق سباستيان الباب وراءه بسرعة البرق دون أن يعير إنتباهه لوجود عازف الأكورديون خلفه أخذا هايدي عنوة إلى غرفة الطعام حيث كان الآنستان روتينهايمر و كلارا في إنتظارها على أحر من الجمر (إدلهايد ! لما هربت من المنزل ؟)

(مياو)

ظنت الآنسة روتينهايمر أن مواء الهرة المختبئة في فستان هايدي الصادر قبل لحظات صادر من فاه الأخيرة بغية السخرية منها (لا تتحدثي معي بهذا الصوت السخيف !)

(مياو ، مياو ، مياو)

(لما تصدرين هذا الإزعاج يا هايدي ؟)

(ليس أنا يا كلارا ، بل الهرتين اللتين بجعبتي)

(هرتان ؟! هنا ؟! سباستيان ، تعال و إرمي هذه المخلوقات الغريبة خارج المنزل)

ركضت الآنسة روتينهايمر نحو غرفة الدرس و أغلقت الباب على نفسها ، فطلبت الآنسة كلارا من سباستيان إيجاد مكان آمن يضع الهرتين فيها ، فنفذ الأمر المناط به و أخذهن إلى أعلى غرفة في المنزل ألا و هي العلية .

في صباح اليوم التالي ، طرق عازف الأكورديون باب المنزل طرقا عنيفا دفع سباستيان إلى الإسراع بفتح الباب له متفاجئا بوجوده (أريد مقابلة الآنسة كلارا ، أرشدتها إلى برجة الكنيسة العالي القريب من هنا البارحة و أخبرتني بأنها ستعطيني بعضا من المال لقاء ذلك)

(أيها الكاذب المحتال ، الآنسة كلارا مشلولة و غير قادرة على الحراك أو المشي حتى !)

(أنا لا أكذب يا سيدي ، لقد رأيتها بالفعل في الشارع ، قصيرة القامة و شعرها أجعد و عيناها سوداوان)

(هذه ليست الآنسة كلارا ، بل صديقتها هايدي)

قاد سباستيان عازف الأكورديون إلى غرفة الدرس حيث كانت الآنسة كلارا و هايدي تستذكران دروسهما ، و ما إن رأت الأولى الصبي يحمل الأكورديون على صدره حتى طلبت منه عزف بعض الموسيقى ، لكن تسلل صوته العذب إلى مسامع الآنسة روتينهايمر التي ركضت مسرعة في أثر مصدر الصوت نحو غرفة الدرس (أوقف هذا الإزعاج فورا !)

أخرج سباستيان العازف من المنزل بعد أن إستلم منه سلة كبيرة لكي يسلمها إلى هايدي التي سرعان ما عادت هي و الآنسة كلارا إلى إستذكار دروسهما مجددا و كان شيئا لم يكن .

بعد ذلك ، توجه سباستيان نحو غرفتهما مرة أخرى حاملا معه السلة المذكورة سلفا (هذا العازف أحضر تلك السلة لك يا آنسة كلارا)

و فجأة ! و قبل أن يزيل سباستيان الغطاء عن السلة الكبيرة حتى قفزت منها أكثر من ستة هرر صغيرة بدان بالركض حول الغرفة ! فعرفت هايدي أنهن تم إرسالهن إليها من قبل حارس الكنيسة العجوز ، فسرت الآنسة كلارا بوجودهن كثيرا (ياه يا هايدي ، ما أروعهن !)

لكن الآنسة روتينهايمر كان لها رأي آخر عند رويتها لهن (سباستيان ! أمسك بهن و أعدهن إلى السلة فورا)

توجهت الآنسة روتينهايمر و الغضب يملا عيناها الشاحبتان نحو هايدي المرعوبة منها لمعاقبتها أشد العقاب على ما جرى ، لكن الآنسة كلارا وقفت لها بالمرصاد قدر المستطاع راجية لها بألا تعاقبها و تترك أمر محاسبتها لوالدها ريثما يعود إلى المنزل هذه الأيام .

مرت الأيام اللاحقة مرور الكرام دون أن تتمكن هايدي من تعلم القراءة و الكتابة رغم محاولاتها العابثة مرارا و تكرارا فيهما دون جدوى ، و مع ذلك كانت تروي للآنسة كلارا كل مساء شذرات عن حياتها الجميلة السابقة وسط جبال الألب مما ولد لديها شعورا جارفا بالحنين لوطنها الأصلي ، فإفتقدت كوخ جدها الخشبي و أهل المنطقة أكثر من ذي قبل و أرادت العودة إلى أحضان طبيعتها الخلابة مهما كان الثمن .

مازالت تضع في كل وجبة عشاء قطعا من السويسرول الطازج في جيوبها الصغيرة من أجل إهدائها للجدة غراني و تقوم بتخزينهم و إخفائهم في دولاب ملابسها قبل أن تكتشف الآنسة روتينهايمر السر أثناء تفتيشها لغرفتها في أحد الأيام عندما رأت قبعتها القديمة على الطاولة و تفاجئها بقطع السويسرول المخبأة أسفل أحد أدراج دولابها و قد أصابهن العفن و الجفاف ، فصبت جام غضبها عليها (

إدلهايد ! لما تخفين هذا الكم الهائل من قطع السويسرول داخل الدولاب ؟! هه ؟!! .... تينيت ! تعالي إلى هنا و أخرجي قطع السويسرول العفنة هذه من الدولاب و إرمها على قارعة الطريق .... و إرمي معهن هذه القبعة البالية أيضا ! ....)

(كلا ، كلا ، اهيء اهيء ، هذه قبعتي لا ترمها ، لا ترمي قطع السويسرول إنها لغراني ، إنها لا تحب الخبز الأبيض ، أرجوك لا ترمها ، اهيء اهيء اهيء .....)

(لا تبكي يا هايدي ، يمكننا أن نشتري السويسرول و نرسلها عبر البريد إلى غراني)

قذفت الخادمة تينيت قبعة هايدي إلى قارعة الطريق ، لكن سباستيان سرعان ما وجدها و أعادها إليها و أعاد معها السعادة إلى قلبها عندما وضعتها على رأسها مجددا قبل أن تخفيها في دولابها عن أعين الآنسة روتينهايمر الحاقدة عليها و الكارهة لوجوده أصلا .

الفصل السادس

جدة الآنسة كلارا

عاد والد الآنسة كلارا السيد سيسمان إلى منزله بعد أيام طوال قضاه في إدارة أعماله التجارية خارج فرانكفورت و فور وصوله دخل أولا إلى غرفة الدرس بصحبة الآنسة روتينهايمر لرؤية إبنته الحبيبة كلارا ، و أثناء إحتضانه و تقبيله لها شاهد هايدي واقفة في ركن قصي من أركانها (آه ! إذن أنت الفتاة الصغيرة القادمة من سويسرا .... تعالي و صافحيني و أخبريني ، هل أصبحت و إبنتي كلارا صديقتين حميمتين ؟)

(نعم ، كلارا دوما لطيفة للغاية معي)

خرج السيد سيسمان من الغرفة مخاطبا الآنسة روتينهايمر على وجه السرعة (أعتقد أن كلارا تحبها كثيرا ، اليس كذلك ؟)

(بالطبع سيد سيسمان ، لكن هذه الفتاة تتصرف أشياء غريبة لا تناسب الآنسة كلارا كإحضار الحيوانات الغريبة و الغرباء إلى المنزل !)

عاد السيد سيسمان إلى غرفة الدرس و طلب من هايدي أن تحضر له كوبا من الماء البارد ، فما إن خرجت هايدي من الغرفة حتى بدا يطرح على إبنته كلارا المزيد من الأسئلة عنها فأخبرته عن الهرر الصغيرة و قطع السويسرول ، بعد سماعه ما روته إبنته للتو من قصص بغاية الغرابة عن هايدي ظن في البداية إنه من وحي خيالها الواسع لا أقل و لا أكثر ، لكنه سرعان ما تدارك الأمر و سألها ما إذا كانت ترغب منه أن يعيدها إلى وطنها فكان جوابها الرفض القاطع (كلا يا أبي ! فمنذ مجيئها إلى هنا لم أعرف طعم الفرح و السرور كل يوم إلا بوجودها)

عادت هايدي إليهما بعد لحظات حاملة معها كوبا من الماء البارد ، فسألها السيد سيسمان ما إذا كان باردا جدا أم لا ؟ فأجابته بمنتهى البراءة بأنه بارد للغاية و جلبته من نافورة كبيرة وسط إحدى الشوارع الفرعية حيث إضطرت للسير مسافة طويلة للعثور عليها و قابلت هناك رجلا شعره أبيض بغاية اللطف أثار تصرفها البريء إستغرابه (من طلب منك إحضار كوبا من الماء من هذه النافورة ؟!)

(السيد سيسمان)

(ها ها ها ، أرجوك بلغيه أطيب تمنياتي له ، ها ها ها)

(كيف كان يبدو ؟)

(ذو إبتسامة عريضة مرسومة على شفتيه بغاية الروعة متكا على عصا طويلة في مقدمتها رأس حصان)

(إنه الدكتور كلاسن يا أبي !)

لقد كان الدكتور كلاسن صديقا حميما للسيد سيسمان و طبيب عائلته الخاص و لا سيما إبنته الآنسة كلارا ، في المساء تحدث السيد سيسمان إلى الآنسة روتينهايمر بخصوص هايدي و أمر ببقائها في المنزل بسبب تعلق إبنته كلارا بها و ألا تتدخل في تربيتها حتى مجيء والدته إلى منزله لمساعدتها في الإعتناء بها .

مكث السيد سيسمان مدة أسبوعين في فرانكفورت قبل أن يغادرها إلى باريس في رحلة خاصة بأعماله التجارية تاركا إبنته الآنسة كلارا وحيدة حزينة مجددا قبل أن تصلها رسالة من جدتها التي تحبها حبا جما تخبرها بمجيئها إليهم غدا ، فسرت بهذا الخبر أيما سرور لا يوصف .

و ما إن وصلت جدتها إلى فرانكفورت حتى إستقبلتها بحفاوة بالغة منقطع النظير و ظلت تتجاذب أطراف حديث الشوق و الحنين معا تاركة هايدي حبيسة غرفتها قبل أن تحضر الخادمة تينيت إليها و

تأخـــذها إلـــى غرفـــة الـــدرس لمقابلتهـــا ، و عنـــدما رأتهـــا والـــدة الســـيد سيســـمان لأول مـــرة حتـــى نادتهـــا بصـــوتها الـــودود اللطيـــف ، فلبـــت هايـــدي نـــداءها الحنـــون بســـرعة البـــرق و تأملـــت شـــعرها الأبـــيض الجميـــل يعتلـــي قمتـــه قبعـــة مصـــنوعة مـــن القمـــاش المنقـــوش النـــاعم و وقعـــت فـــي حبهـــا وقوع الفريسة بيد صيادها بملء إرادتها (ما إسمك يا عزيزتي ؟)

(هايدي ، لكنهم ينادونني بإسم إدلهايد)

(من الآن فصاعدا ، سأناديك هايدي و أنت نادني بجدتي ، إتفقنا ؟)

(إتفقنا يا جدتي)

فـــي منتصـــف الظهيـــرة ، إســـتدعت جـــدة كـــلارا هايـــدي و عرضـــت عليهـــا كتابـــا جمـــيلا مليئـــا بالصـــور الملونـــة ، بدايـــة إنفرجـــت أســـاريرها عنـــد رؤيتـــه مـــا لبثـــت ان أجهشـــت بالبكـــاء فـــورا عنـــد رؤيتهـــا صـــورة حقـــل أخضـــر يـــزدان بالحيوانـــات تحـــت أشـــعة الشـــمس الذهبيـــة الســـاطعة ، فأدركـــت الجـــدة جيـــدا أن الصـــورة أثـــارت فيهـــا مشـــاعر الحنـــين لوطنهـــا الأصـــلي الـــذي تركتـــه رغمـــا عنهـــا (لا تبكـــي يـــا صـــغيرتي ، أعـــرف أن وراء هـــذه الصـــورة التـــي أبكتـــك كثيـــرا قصـــة شـــوق و حـــب جـــارف بـــداخلك نحـــو وطنـــك ، لكـــن هلا خبرتني عما تعلمته من دروسك هنا ؟)

(لا شيء يذكر يا جدتي ، لا أستطيع القراءة ، إنها صعبة للغاية)

(هايـــدي ، لـــو إســـتطعت تعلـــم القـــراءة فستحصـــلين علـــى هـــذا الكتـــاب هدية مني لك)

أيقنـــت هايـــدي أنهـــا لـــن تـــتمكن مـــن العـــودة إلـــى موطنهـــا علـــى وجـــه الســـرعة و أنهـــا مضـــطرة بـــأي حـــال مـــن الأحـــوال إلـــى البقـــاء فـــي فرانكفـــورت رغـــم كرههـــا الشـــديد لهـــا و إفتقادهـــا الجـــارف للخضـــرة و الحيـــاة البريـــة و الجبـــال الثلجيـــة ، فلـــم تـــذق خلالهـــا طعـــم الأكـــل أو النـــوم و صـــار وجههـــا شـــاحب اللـــون دون أن تخبـــر أحـــدا مـــن أفـــراد عائلـــة الســـيد سيســـمان بأحزانهـــا الجياشـــة و لا ســـيما الآنســـة كـــلارا و جـــدتها اللتـــان تعاملانهـــا بلطـــف زائـــد خوفـــا مـــن ردة فعلهمـــا الغاضـــبة نحوهـــا ، إلا أن جـــدة الآنســـة كـــلارا أحســـت بحزنهـــا الفيـــاض مـــؤخرا (مـــا الخطـــب يـــا هايـــدي ؟ لمـــا أنـــت حزينة ؟)

(لا أستطيع إخبار أي واحد منكم)

(هايـــدي ، إذا شـــعرت بـــالحزن و واجهتـــك مشـــكلة مـــا فـــأطلبي العـــون مـــن الله بالصلاة و الدعاء له)

و هكـــذا دعـــت هايـــدي خالقهـــا تبـــارك و تعـــالى بمشـــاكلها الواحـــدة تلـــو الأخرى (أرجوك يا الله ، أعدني إلى وطني و جدي)

ذات يوم و بعد مرور أسبوع على الأقل على وجود جدة الآنسة كلارا في منزل آل سيسمان تحدث معلم هايدي السيد يوشر إليها يخبرها عن شيء مذهل طرا هذا اليوم بخصوصها (لقد تعلمت القراءة بسرعة يا سيدتي !) ، و ما إن سمعت هذا الخبر السعيد من السيد يوشر حتى بوعدها لهايدي و أعطتها في المساء كتاب الصور مضافا إليه صورة الحقل الأخضر الذي ذكرها بموطنها الأصلي من قبل .

منذ ذلك الحين ، أحبت هايدي القراءة كثيرا جراء مجالستها لجدة الآنسة كلارا كل منتصف ظهيرة التي كانت تروي لها قصص الأطفال بصوت عال جدا بغاية الألفة و اللطف و المتعة .

الفصل السابع

الشبح

ظل جدة الآنسة كلارا كل يوم خلال فترة منتصف الظهيرة تتبادل مع هايدي أطراف الحديث حيث لاحظت أنها مازالت غارقة في حزنها المعتاد (ما الأمر يا عزيزتي هايدي لما أنت حزينة هكذا ؟ أهي نفس المشكلة مازالت تؤرقك ؟ هل أخبرت الله عز و جل بها ؟)

(بلى يا جدتي ، لكنه ربما لا يصغي الي ، لقد ظللت أصلي له كل يوم و لكن دون أن يحدث شيء)

(الله يسمع صلواتنا على الدوام ، لكنه لا يستجيب لهن على الفور)

في صباح اليوم التالي ، عادت جدة الآنسة كلارا إلى منزلها ما أدخل هايدي في حزن مطبق بعدما أضحى المنزل خالي الوفاض من وجودها ، و في المساء ، دخلت إلى غرفة الدرس حاملة معها كتاب (سأقرأه لك الآن يا كلارا)

ما إن بدأت هايدي بقراءة سطوره التي تدور حول قصة جدة تحتضر حتى أصابها الحزن العميق و أجهشت بالبكاء بعدما ذكرته بجدة بيتر

العمة غراني التي حسب إعتقادها لن تراها مجددا على الإطلاق طالما مكثت هنا في فرانكفورت إلى الأبد .

سرعان ما سمعت الآنسة روتينهايمر لصراخها الباكي حتى إقتحمت غاضبة غرفة الدرس (إدلهايد ، توقفي عن هذا الإزعاج ! إذا بكيت بهذا الشكل مجددا ! سأخذ هذا الكتاب منك و إرمه بعيدا !)

لم تذق هايدي طعم الأكل الشراب طيلة إقامتها في منزل آل سيسمان مما تسبب لها بهزال حاد ، تمدد على السرير في غرفتها كل ليلة تفكر بموطنها طوال الليل دون إنقطاع ، حتى عندما تخرج مع الآنسة كلارا في نزهة بالعربة عبر شوارع فرانكفورت و أناسها و مبانيها الجميلة كل مساء يخيم الحزن على محياها البريء حيث لم تر على جنباتها أي أثر للعشب الأخضر و لا الأشجار أو الجبال البيضاء .

مر الخريف و الشتاء إلى أن حل فصل الربيع و هايدي مازالت على هذا الحال ، و ما زاد الطين بلة أنها أضحت تهلوس و تشرد بذهنها إلى الأفق البعيد بصوت عال و هي تتذكر حياتها القديمة في جبال الألب بحذافيرها (في هذه اللحظة بيتر سيأخذ القطيع إلى الجبل)

و خلال هلوستها المفرطة و شرودها الذهني المتصاعد بدا يتراءى أمامها بعض الأشياء الغريبة التي حدثت في منزل آل سيسمان ، ذات

يـوم و عنـدما نـزل مـن الـدرج لاحـظ بإسـتغراب أن البـاب الأمـامي للمنـزل كـان مفتوحـا علـى مصـراعيه (مـن فـتح البـاب ؟ أهـو لـص إقـتحم المنـزل الليلة الماضية ؟)

فتشـش سباسـتيان و زميلـه المـدعو جـون أرجـاء المنـزل و زوايـاه دون أن يعثرا على أي أثر يؤكد تعرضه للسرقة أو السطو المسلح .

و فـي المسـاء ، أوصـد كلاهمـا جميـع الأبـواب ، إلا أنهمـا فوجئـا فـي الصـباح البـاكر برؤيـة البـاب الأمـامي مفتـوح علـى مصـراعيه مجـددا ، فـأخبر سباسـتيان الآنسـة روتينهـايمر بـالأمر (أنـت و جـون سـتبقيان بـالقرب مـن بهـو المنـزل و تراقبـا بابـه الأمـامي جيـدا دون أن يغمـض لكمـا جفن)

فـي تلـك الليلـة و رغـم هبـوب الريـاح الشـديدة ظـل سباسـتيان و جـون يقبعـان فـي الغرفـة المجـاورة للبـاب الأمـامي و يشـربان قنينـة خمـر حتـى الثمالـة و يتسـامران و يتجاذبـان أطـراف الحـديث إلـى أن جعلهمـا صـوت الريـاح يغطـان فـي نـوم عميـق لـم يفيقـا منـه مجـددا إلا عنـد حلـول منتصـف الليل (سأذهب و أرى الباب الأمامي يا سباستيان)

فأخـذ جـون شـمعة و إتجـه نحـو البهـو ، و فجـأة ! ركـض عائـدا إلـى الغرفة و الرعب يملا جسده و وجهه (ما الأمر يا جون ؟)

(لقد فتح الباب الأمامي عبر شخص نزل عبر السلالم و يرتدي ثيابا بيضاء و بدا كالأشباح !)

في الصباح الباكر ، توجه سباستيان و جون إلى الآنسة روتينهايمر و أخبراها بما حدث البارحة ، فإنتابها الهلع الشديد و دفعها الأمر إلى إرسالها رسالة عاجلة إلى السيد سيسمان تطلب من خلالها العودة سريعا إلى فرانكفورت لوجود شبح في المنزل ! ظلت تنتظر رده عليها إلى الغد حيث عبر من خلال رسالته عن تفاجئه بما ورد في رسالتها عن وجود شبح مزعوم في المنزل و مدى صحة ما قالته عن هذا الأمر و عن إعتذاره الشديد عن عودته إلى فرانكفورت و ترك أعماله في باريس من أجل ذلك ، إعتقدت الآنسة روتينهايمر أن السيد سيسمان لم يصدق قصة الشبح الذي أخبرته عنه و أنه من صنع خيالها ، فخطرت ببالها فكرة تمثلت بذهابها إلى إبنته الآنسة كلارا و أخبرتها عن قصته الشبح الأبيض مما جعل الأخيرة في حالة يرثى لها من الرعب و الهلع (أرجوك يا آنسة روتينهايمر ، إبعثي برسالة أخرى إلى أبي و أطلبي منه المجيء إلى منزلنا على وجه السرعة)

(جيد ، السيد سيسمان سيقلق كثيرا بشأن إبنته الآنسة كلارا و سيأتي حالا إلى هنا)

فكتب آنسة روتينهايمر رسالة أخرى للسيد سيسمان (سيد سيسمان ، عاد الشبح إلى الظهور مجددا في المنزل ، و الآنسة كلارا مرعوبة و مضطربة للغاية بعدما عرفت بوجوده عندنا ، أرجوك يا سيدي ، عد إلينا حالا)

سارت خطة الآنسة روتينهايمر على ما يرام ، فما إن تسلم السيد سيسمان رسالتها الأخيرة إليه حتى ركض على وجه السرعة نحو أول قطار متجه من باريس إلى فرانكفورت ، و حين وصوله العاجل إلى المنزل فغرفة إبنته الآنسة كلارا حتى تفاجأ ضاحكا بوجود الآنسة روتينهايمر بوجودها هناك (ها ها ها ، هلا أخبرتني يا آنسة روتينهايمر كيف يبدو شكل هذا الشبح المزعوم ؟)

(الأمر لا يدعو للضحك يا سيدي ، أنا متأكدة تماما من أنك عندما تراه غدا ستموت من الضحك من كلامي مجددا)

(أنا ذاهب إلى غرفة الطعام ، لو سمحت أرسلي في طلب سباستيان)

توجه سباستيان على وجه السرعة إلى غرفة الطعام حيث طلب السيد سيسمان منه إغلاق الباب عليهما و أعطاه رسالة مكتوبة بخط يده طالبا إياه إرسالها إلى الدكتور كلاسن الذي إلتقى بهايدي عند نافورة المدينة و ضرورة المجيء فورا إلى منزله في التاسعة مساء .

بعد إستلامه رسالة السيد سيسمان من خادمه سباستيان ، وصل الدكتور كلاسن إلى المنزل في التاسعة مساء أي بعدما خلدتا الآنسة كلارا و هايدي إلى النوم في غرفتيهما مبكرا ، حدثه السيد سيسمان عن الشبح المزعوم (يا صديقي العزيز ، أتصدق هذا الهراء ؟ لعله شخص ما أو صديق لأحد خدمك يمزح معنا أو لص يحاول سرقة غرضا ثمينا من منزلك)

(على العموم ، لقد وضعت مسدسين في الغرفة المجاورة للباب الأمامي ، فإذا كان الشبح المزعوم لصا كما تقول أرعبناه بمسدساتنا)

توجه كلاهما نحو غرفة الطعام حاملين معهما مسدسيهما و قدحين و قنينة من الخمر و وضعوهم على الطاولة و جلسا على كرسيين مريحين للغاية من كراسيهما يشربان الخمر و يتجاذبان أطراف الحديث معا ، مر الوقت سريعا و ما هي إلا لحظات حتى حل الظلام الدامس عليهم و ساد الشارع المحاذي لهم صمت مطبق ، و فجاة ! سمعا بعض الضوضاء الصادرة من البهو و تحديدا من صوت مفتاح يديره شخص ما لفتح الباب الأمامي ، و ما إن سمعا الباب يفتح حتى هب كليهما بمسدساتهما و شمعا لإنارة طريقهما نحو مصدر الصوت المريب فوجدا الباب الأمامي مفتوح و شاهدا الشخص أو الشبح أي

شيء من هذا القبيل الذي قام بفتحه حيث بدا أمامهما قصير القامة صغير السن مرتديا ثيابا ناصعة البياض ، فصرخ الدكتور كلاسن في وجهه (من هناك ؟)

سرعان ما إلتفت هذا الشخص الغريب نحو الدكتور كلاسن مفزوعا من صراخه الحاد و أجهش بالبكاء دون تردد ، فعرفا من بكائه الطفولي أن الشبح الواقف أمامهما الذي أثار فزع الجميع ما هو إلا هايدي الصغيرة مرتدية ثيابها الليلية أو ثياب النوم البيضاء حافية القدمين التي كانت متفاجئة من وجودهما هنا (ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت من الليل يا صغيرة ؟!)

(لا أعرف يا سيدي)

(سيسمان ، سأعيدها إلى غرفتها .... لا تخافي يا هايدي ، ما من شيء سيء سيحدث لك الآن)

صعد مع الفتاة الصغيرة إلى غرفتها و وضعها على السرير ثم جلس على الكرسي المحاذي له (أخبريني الآن يا صغيرتي أين كنت ستذهبين في هذا الوقت من الليل ؟)

(لا أعرف إلى أين ؟ ..... لا أعرف ما إذا كنت نزلت عبر السلالم أم لا ؟)

(هل كنت تحلمين ؟)

(نعم ، نفس الحلم يتكرر معي كل ليلة ! ..... حلمت بأنني مع جدي و أسمع صوت الريح تهز أشجار الصنوبر ، فأنهض من نومي و إفتح باب كوخنا الخشبي بغية رؤية النجوم في كبد السماء ، لكن ما إن إستيقظ من نومي حتى إكتشف بأني مازلت في فرانكفورت ، اهيء اهيء اهيء)

(نامي يا عزيزتي ، و غدا صباحا سيكون كل شيء على ما يرام)

غادر الدكتور كلاسن غرفتها متجها نحو السيد سيسمان (إنها تمشي أثناء نومها حالمة بوطنها و تفتح الباب الأمامي كل ليلة معتقدة بأنها هناك و في كوخ جدها الخشبي ، شعور هايدي بحنين جارف نحو وطنها أدى إلى إصابتها بالمرض و الهزال الشديدين ، يجب أن تعيدها إلى مسقط رأسها فورا و إلا ستسوء حالتها أكثر من ذي قبل و لن نتمكن ساعتها من معالجتها إلا بعد فوات الآوان) .

شعر السيد سيسمان بالقلق الشديد عند سماعه للتو كلام صديقه الدكتور كلاسن بخصوص حالة هايدي المرضية (هايدي ستعود إلى وطنها غدا) .

الفصل الثامن

العودة إلى الوطن مجددا

تحدث السيد سيسمان إلى هايدي إثر تناوله طعام الإفطار صباح اليوم التالي حاملا لها أخبارا سارة (أبشري يا هايدي ستعودين إلى وطنك اليوم)

(حقا ؟)

(نعم ، سنضع أغراضك كلها في حقيبة كبيرة و سيسافر سباستيان معك إلى بازل و من ثم ماينفيلد اليوم و غدا ، سأكتب رسالة لجدك بهذا الخصوص ستحملينها إليه لدى وصولك إلى منزله)

ما إن سمعت الآنسة كلارا خبر مغادرة هايدي من المنزل حتى جن جنونها ، فتوجه والدها إلى غرفتها و طيب خاطرها شارحا لها الأمر بهدوء تام (عزيزتي كلارا ، هايدي تحب وطنها حبا جما لم يفارق قلبها لحظة واحدة ليتحول إلى مرض عضال يؤرقها و يصيبها بالإكتئاب و الحزن و الأسى و السير أثناء نومها ليلا ، لذا إرتأيت عودتها الملحة إلى أرض الوطن حالا)

أخذ سباستيان حقيبة سفر هايدي إلى غرفة الآنسة كلارا التي ملأتها ببعض الفساتين الجميلة و الأغراض الأخرى من أجل صديقتها الحميمة مضيفة إليهم سلة محملة بالسويسرول الطازج للسيدة غراني العزيزة على قلب الأخيرة التي وضعت قبعتها القديمة محل نظيرتها الجديدة و كتاب الصور و حملت أمتعتها عبر السلالم إلى خارج المنزل حيث كانت عربة السيد سيسمان بإنتظارها على أحر من الجمر دون أن تمنعها من توديع صديقتها كلارا و والدها وداعا حارا مصحوب بالقبل و العناق المتبادل قبيل صعودها إلى متنها في اللحظات الأخيرة (وداعا يا عزيزتي هايدي ، سيظل وجودك القصير الأمد لدينا محفورا في قلبي و إبنتي كلارا في كل صباح و مساء ، رحلة موفقة إلى وطنك)

(أشكرك على كل شيء قدمته لي يا سيد سيسمان ، و بلغ سلامي و شكري العميق للدكتور كلاسن)

في صباح اليوم التالي ، وصلت هايدي و سباستيان إلى محطة قطار ماينفيلد ، و بالخارج إلتقيا برجل يقود عربة صغيرة ، فسأله سباستيان عن كيفية الوصول إلى قرية دورفلي ، فأخبره سائق العربة بأنه سيقوده هو و الطفلة التي معه و أمتعتهم (شريطة ألا تكون ثقيلة للغاية) إلى

هنـــاك حيـــث يعمـــل خبـــازا فيهـــا (شـــكرا جـــزيلا لـــك ..... هايـــدي ، هـــاك هـــذه الرســـالة و الطـــرد ، كلاهمـــا مـــن طـــرف الســـيد سيســـمان ، ســـلمي تلـــك الرســـالة لجـــدك العـــم ألـــب ، أمـــا الطـــرد فهـــو عبـــارة عـــن هديـــة قيمـــة مقدمـــة من سيدي)

ودع سباســـتيان هايـــدي التـــي ذهبـــت مـــع الخبـــاز إلـــى قريـــة دورفلـــي بعربتـــه المتواضـــعة ، و مـــا إن وصـــلت حتـــى تفاجـــأ القرويـــون برؤيتهـــا مجـــددا ، فإنهـــالوا عليهـــا بأســـئلتهم المتعطشـــة لأجوبتهـــا الشـــافية ، لكنهـــا لـــم تعطهـــم الفرصـــة لـــذلك و إســـتأنفت رحلتهـــا إلـــى كـــوخ جـــدها الخشـــبي (شـــكرا لـــك عمـــي الخبـــاز ، ســـأحمل الســـلة فقـــط ، أمـــا حقيبتـــي فيســـتلمها جـــدي منـــك نيابة عني غدا)

مـــا إن نزلـــت مـــن العربـــة حتـــى بـــدأت الـــركض المتســـارع نحـــو الجبـــل ركـــض المشـــتاق لحبيبتـــه إلـــى إن وصـــلت إلـــى كـــوخ بيتـــر و هـــي تحـــاور نفســـها (هـــل غرانـــي مـــا تـــزال علـــى قيـــد الحيـــاة ؟ أرجـــو ألا تكـــون قـــد ماتـــت قبـــل وصولي إليها ؟!)

فتحـــت بـــاب الكـــوخ و دخلـــت مســـرعة إليـــه لتتفاجـــأ مرعوبـــة بصـــوت صـــادر من إحدى أرجاء الغرفة (من هناك ؟!)

(هذا أنا يا عزيزتي هايدي ، غراني ، اهيء اهيء اهيء)

(غراني ؟!!! اهيء اهيء اهيء)

إرتمت هايدي في أحضانها و عانقتها عناقا حارا إلى حد تضييق الخناق عليها (بلى يا عزيزتي ، إنه صوتك البريء الحنون ذاته)

تحسست رأس هايدي و شعرها الأجعد و طوقتهما بكلتا يديها ملؤهما الحب و الحنان الجارف دفعها إلى البكاء فرحا بوجودها إلى جوارها (أوه يا عزيزتي ، عرفتك من شعرك الأجعد !)

(نعم ، إنه أنا يا غراني بشحمي و لحمي ، فلا تبكي رجاء ، سأظل هنا إلى الأبد و لن أبتعد عنك مجددا مهما حييت، و سوف آتي لرؤيتك كل يوم ، أنظري ماذا أحضرت لك معي ؟ إنها سلة مليئة بالسويسرول الذي تحبينه)

أخرجت هايدي بعض السويسرول الطازج من سلتها و وضعتهم على ركبتي غراني (يا لها من هدية رائعة ! لكنك أعظم هدية وهبها الله لي)

بعد ذلك ، دخلت بريجيت الكوخ و تفاجأت مسرورة هي الأخرى برؤية هايدي مجددا (أنت ترتدين قبعة جميلة !)

(يمكنك أخذها يا بريجيت ، فأنا لا أريدها على كل حال)

خلعته هايدي من رأسها على الفور و أعطته لبريجيت و وضعت مكانها قبعتها القديمة (سآتي لزيارتك يا غراني مجددا غدا صباحا)

غربت الشمس و أسدلت أشعتها الذهبية على ظهور الجبال الثلجية البيضاء و لونتها بلونها اللهبي الأحمر البراق ، و ما إن توارت الشمس عن الأنظار حتى حل الظلام الدامس محلها كالعادة جاثما بصدره الحالك السواد على صدر السماء الزرقاء ، لكن هايدي تنفست الصعداء أخيرا عندما رأت أشجار الصنوبر العتيقة و من ورائهن كوخ جدها المكلل بالثلوج حيث كان جالسا على مقعده الخشبي كعادته يدخن غليونه الفاحم اللون في الهواء الطلق ، فأوقعت سلتها على الأرض و أسرعت الخطى نحوه صارخة بإسمه و ترتمي باكية بين ذراعيه و عانقته بحرارة طاغية ، و بالرغم من دهشته المفرطة لدى رؤيتها ، إلا أنه لم يخف فرحته الغامرة بعودتها إليه مرة أخرى (لما عدت يا هايدي ؟ هل هذه العائلة المقيمة في فرانكفورت طردتك من منزلها ؟)

(كلا يا جدي ، كلارا و عائلتها كانوا لطفاء للغاية معي خلال إقامتي عندهم ، لكني إشتقت اليك و للوطن كثيرا ، فسمح لي السيد

سيسمان بالعودة إلى هنا بعدما أن حملني رسالة لك ستخبرك بحقيقة الأمر)

أعطته الرسالة و الصندوق حيث قرأ الأولى بحرص شديد (يقول في رسالته بأن هذا الصندوق لك ، يحتوي بداخله على بعض المال الخاص بك لكي تشتري من خلاله على السرير و الملابس التي تحتاجينها)

(لا أريد مالا يا جدي ، لقد حصلت على السرير من قبل ، أما الملابس فلقد أعطتني كلارا المزيد منها)

دخل كلاهما الكوخ و جلست هايدي على مقعدها الخاص بينما أعطاها العم ألب كأسا من الحليب الطازج ، و فجأة ! سمعت هايدي صوت صفارة بيتر و هو يمر بالقطيع من أمامهم كعادته ، فركضت نحوه بغاية اللهفة و الترحيب له و للغنمتين ديزي و دوسكي (مرحبا بيتر ! مرحبا ديزي و دوسكي ! هل تذكرتموني ؟)

فإلتفتت الأغنام حولها و عانقتهن الواحدة تلو الأخرى ، و في المساء ، ذاقت النوم لأول مرة بعدما شعرت بالسعادة الغامرة لدى عودتها إلى الوطن مجددا حيث حلمت بشروق الشمس اليومي على الجبال و هبوب الرياح على أشجار الصنوبر .

و في صباح اليوم التالي ، غادرت الكوخ مع جدها إلى دورفلي و مروا في طريقهما على كوخ غراني جدة بيتر (هل أعجبك السويسرول[4] الذي أحضرته لك يا غراني ؟)

(طبعا يا عزيزتي ، إنه لذيذ للغاية)

(لقد خطرت ببالي فكرة يا غراني ، لدي الكثير من النقود الآن ، يمكنك من خلالها شراء السويسرول من خباز قرية دورفلي كل يوم)

ثم تأملت بعض الكتب الموضوعة على الرف (لقد أصبحت أجيد القراءة يا غراني ، أتودين أن أقرأ لك قصة من هذه الكتاب ؟)

بدأت هايدي بقراءة الكتاب أمام غراني المسرورة بسماع صوتها العذب الجميل .

و ما إن حلت نهاية الأسبوع حتى بدا يوم الأحد جميلا ، و دغدغت أشعة شمسه الساطعة صباحا وجه هايدي الممددة على سريرها المتواضع حتى إستفاقت على وقع زقزقة العصافير و تغريد البلابل المنتشرات على متن أغصان أشجار الصنوبر و أجراس كنيسة دورفلي و هي تقرع و يصل صداها المجلجل إلى أعلى الوادي و نداء جدها لها (هايدي ! إرتدي أجمل فساتينك ، سننزل إلى القرية معا)

[4] حلوى سويسرية دائرية الشكل مصنوعة من الدقيق و البيض و الحليب و الكريمة أو المربى (المترجم) .

ما إن لبت نداءه العالي حتى أسرعت في إرتداء إحدى فساتينها التي جلبتها معها من فرانكفورت و نزلت من سلم العلية حتى توقفت مكانها عند رؤية جدها بحلة بهية حيث تفاجأت بإرتدائه معطفا دافئا بغاية الأناقة ذو أزرار فضية براقة (تبدو أنيقا للغاية يا جدي) .

أمسكت بيد جدها و نزلا معا من الجبل حتى وصولهما إلى قرية دورفلي ثم ذهابهما إلى منزل الأسقف الذي كان مسرورا لرؤيتهما مع بعضهما البعض لأول مرة (أبونا ، أريد العودة إلى القرية ، لقد كنت محقا فيما قلت و أنا أخطأت في رفضي رفضا باتا لدخولها المدرسة ، فحلول فصل الخريف على الجبال سيجعل الأجواء باردة للغاية و يضر بصحة هايدي ، سأعود إلى دورفلي خلال فصل الخريف)

ما إن غادرت هايدي و جدها منزل الأسقف حتى هب القرويون محتشدين حولهما عند عتبة داره بإنتظارهما على أحر من الجمر للترحيب بهما و بزيارتهما الحارة و في نهاية رحلتهما غادر كلاهما القرية متجهين نحو كوخ بيتر على طريق عودتهما إلى الجبل (مرحبا غراني ، بإمكاني رؤية كوخك و إصلاح ما أفسده الدهر إذا إقتضى الأمر لذلك في أي وقت ترغبين بإستدعائي من أجل هذا الأمر)

تفاجأت السيدة غراني من عرضه الحاتمي لإصلاح كوخها الخشبي (أهذا هو السيد ألب ؟! يا للروعة !)

(لقد عادت حفيدتي هايدي إلى أحضان الجبل و لن تتركني أبدا)

(أرجوكم لا ترحلوا عني مجددا)

في تلك الأثناء ، دخل بيتر إلى الكوخ حاملا معه رسالة لهايدي من مكتب بريد دورفلي مرسلة من صديقتها كلارا ، فقرأتها بصوت مسموع أمام الجميع (عزيزتي هايدي ، لقد عدت إلى هدوئي و إكتئابي مجددا منذ أن غادرت منزلنا إلى غير رجعة ، إفتقدتك كثيرا ، إلا أن والدي أخبرني عن إمكانية مجيئ اليكم و زيارتكم في الخريف القادم بصحبة جدتي ، كما نود زيارة جدة بيتر السيدة غراني أيضا

صديقتك المخلصة

كلارا)

الفصل التاسع

زائرة من فرانكفورت

لم تتحمل الآنسة كلارا فراق صديقتها الوحيدة الأبدي عنها إلى مسقط رأسها حيث إفتقدت وجودها و بساطتها الطفولية أكثر من ذي قبل ، ما أدخلها في حالة من الإكتئاب و الحزن العميقين خلال فصل الصيف لم تبرا منهما إلا في شهر سبتمبر بعد أن وعدها والدها بزيارة رفيقة عمرها في موطنها الجبلي النائي خلال فصل الخريف القادم و لكن بعد أن تتعافى من مرضها الذي ألم بها خلال هذا الصيف ، على الرغم من أنها تعافت منه في شهر سبتمبر ، إلا أنها مازالت ضعيفة و غير قادرة على إستجماع قواها بعد ما أثار قلق الدكتور كلاسن حيالها (كلارا ليست على ما يرام بما فيها الكفاية حتى تتمكن من زيارة هايدي ، فربما الطقس البارد في الجبال الثلجية هناك سيضرها أكثر من ذي قبل و يدفعها إلى عدم البقاء مع هايدي في مسقط رأسها مدة أطول ، لنتريث قليلا حتى مجيء مايو القادم حيث سيغدو الطقس حينها أكثر دفئا و إعتدالا و يجعل أمر زيارتها لهايدي ممكنا)

و أثناء حديثه مع السيد سيسمان ، بدا الدكتور كلاسن حزينا للغاية بعدما تذكر إبنته الوحيدة التي فارقت الحياة قبل أشهر قلائل حيث

أضحى بعد وفاتها وحيدا بلا عائلة أو سند ، لكن ما سمعت الآنسة كلارا خطة والدها لزيارة هايدي في موطنها الجبلي حتى شعرت بالسعادة الغامرة و ترجت الدكتور كلاسن بأن يذهب إلى سويسرا لرؤية هايدي نيابة عنها و حاملا معه هداياها العديدة لها و لغراني)

أعدت الآنسة كلارا و معها الآنسة روتينهايمر الهدايا و وضعتهما في صندوق ضخم حيث شملن في البداية معطفا صوفيا ذات غطاء رأس دافئ لهايدي ثم دثار صوفي و صندوق مليء بالكعك لغراني و لفافات تبغ للعم ألب و كنزات صوفية لبيتر و والدته بريجيت و جدته غراني ، و ما إن تم تحميلهن في حقيبة كبيرة حتى أخذهن سباستيان إلى منزل الدكتور كلاسن .

و قبيل زيارة الدكتور كلاسن بأيام قلائل ، كانت هايدي خارج كوخ جدها الخشبي تتنزه بين أشجار الصنوبر المتأرجحة تحركها رياح النسيم العليل من اليمين إلى اليسار ، و فجأة ! رأت من بعيد الدكتور كلاسن يصعد المنحدر الجبلي إليهم ، فركضت نحوه جزلانة فرحانة بقدومه ، و ما ان وصلت إليه حتى تلفتت من حوله (أهلا يا دكتور ! لكن أين كلارا و السيد سيسمان ؟! لما لم يحضرا معك ؟!!)

(أنا آسف يا هايدي ، لقد أتيت اليكم بمفردي من دونهما ، فكلارا مريضة و لا تقدر على السفر الان)

سرعان ما أصاب هايدي الحزن و الإستياء الشديد عند سماعها لذلك ، و ما إن رأها الدكتور كلاسن على هذه الحال حتى بشرها بقدوم الآنسة كلارا و جدتها إليهم في فصل الربيع المقبل ، فإنفرجت أساريرها مجددا و أصحبت الدكتور كلاسن إلى كوخ جدها العم ألب الذي كان في شرف إستقباله بحرارة لم يسبق لها مثيل (أرجو أن تقضي وقتا ممتعا معنا في الصباح خلال فصل الخريف و إن كنا غير قادرين على إستضافتك حتى المساء لعدم وجود سرير آخر كي تنام عندنا ، إلا أن قرية دورفلي القريبة منا يوجد فيها فندقا للمسافرين هناك يمكنك قضاء بقية أيامك فيه)

(أشكرك يا عم ألب)

في منتصف الظهيرة ، وضع العم ألب مائدة الطعام في باحة الكوخ الخارجية على الهواء الطلق (أرجو منك يا دكتور أن تتناول الطعام معنا ، و على الرغم من بساطته إلا أن غرفة طعامنا تطل على مناظر طبيعية خلابة في الهواء الطلق)

(و هو كذلك يا عم ألب)

فتأمل الدكتور كلاسن الوادي الجبلي الفسيح من فوق و هو يحتضن أشعة الشمس الذهبية الساطعة عليه ، فأحضرت هايدي الحليب و الخبز و الجبن و اللحم المقدد معها حيث إستمتع بمذاقه الرائع شاردا بذهنه في الأفق البعيد (لا بد أن تأتي كلارا إلى هنا ، ستشعر بالتحسن وسط هذه الجبال الخلابة)

بعد تناولهم الطعام شاهدوا رجلا يصعد المنحدر الجبلي نحوهم حاملا معه طردا ضخما على ظهره يحتوي على بعض الهدايا المرسلة من فرانكفورت للعم ألب و هايدي كما أخبرهما الدكتور كلاسن بذلك .

فرحت هايدي أيما فرح عند رؤيتها جميع الهدايا المفضلة لديها بداخله ، و شاركها العم ألب حفيدته الصغيرة فرحتها الغامرة عندما وجد لفافات التبغ المفضلة لديه بين الهدايا المذكورة أعلاها .

و ما إن بدأت الشمس بالغروب حتى أضطر الدكتور كلاسن للعودة إلى مقر اقامته في دورفلي برفقتهما أيضا ، و أثناء سيرهم وسط المنحدر الجبلي حتى رأوا منزل بيتر من بعيد ، فأمسك الدكتور كلاسن يد هايدي تاركا جدها العم ألب يحمل الهدايا نيابة عنه ، فسألته الأخيرة ما إذا كان يود المرور على المراعي و مشاهدة الأغنام هناك غدا فأجابها الأول بالإيجاب ، واصل ثلاثتهم السير إلى

دورفلي قبل أن تتركهم هايدي راكضة نحو كوخ بيتر حاملة الهدايا الخاصة بغراني و إبنتها بريجيت و حفيدها بيتر الذين كانوا في غاية السرور بهن و لا سيما بيتر الذي ما إن رأى الكنزة الصوفية حتى فرح بها فرحا شديدا حيث لم ير مثلها من قبل .

طلبت غراني من هايدي إن تشكر الآنسة كلارا و جدتها كثيرا نيابة عنها على لطفهما الزائد و كرمهما الحاتمي نحوها و أهلها و لاسيما فيما يخص شالها الصوفي الذي سيدفئها و يقيها برد الشتاء القارس أفضل من الأعوام السابقة .

في صباح اليوم التالي ، توجه الدكتور كلاسن إلى المراعي الجبلية مع هايدي و بيتر مع قطيع أغنامه ، و قبيل مغادرتهم كوخ العم ألب أعطى الأخير بيتر حقيبة مليئة بالطعام و من بينها قطعة لحم كبيرة الحجم للدكتور كلاسن من أجل تناول غدائه هناك .

و ما إن وصلوا إلى المراعي حتى إندفعت الأغنام نحوها تلتهم عشبها الطازج غير عابئة بالصقر الذي يحلق في الأفق البعيد حول المكان قادما من الطرف الآخر من الجبل (إنه مكان رائع للغاية يا عزيزتي هايدي ، يمكنني من خلاله رؤية السماء الزرقاء و الجبال الثلجية و أشجار الصنوبر الكثيفة و تنشق الهواء العليل و تناول الطعام تحت

أشعة الشمس الذهبية الساطعة ..... و غيرها من الأشياء الجميلة التي لا توجد في فرانكفورت على الإطلاق ، و ما هذا جعلك تصابين بالمرض و الهزال عند إقامتك فيها)

و أثناء تمتعه الطاغي بالمنظر الخلاب مع هايدي تذكر إبنته الوحيدة التي خطفها الموت مبكرا ، فعاودته الأحزان مجددا ، عكس هايدي تماما التي كانت مسرورة بمجيئه و محادثته طوال الوقت في الهواء الطلق ما أثار غضب بيتر نحوها .

في منتصف الظهيرة ، فتح بيتر حقيبة الطعام ، لكن الدكتور كلاسن أخبره بأنه ليس جائع ، إلا أنه طلب منه بعضا من الحليب مفضلا التجوال في الجبل (تريد فقط شرب الحليب يا دكتور ؟ و ماذا عن هذا الكم الهائل من الطعام الموجود في الحقيبة ؟)

(يمكنك أخذ طعامي كله)

فسر بيتر لذلك و أحس بمشاعر الود و الإمتنان نحوه و لم يعد يشعر بالغيرة و الحسد منه على الإطلاق .

ظل الدكتور كلاسن يصعد إلى كوخ العم ألب الجبلي قادما من دورفلي صباحا يتجول معه وسط الجبال الثلجية و المراعي الخضراء راويا له العديد من الأشياء الممتعة عنها وفي المساء يقفل إلى مقر

إقامته في دورفلي مجددا حيث ظل على هذا المنوال طوال فصل الخريف و طقسه الجميل لمدة شهر بأكمله ، و ما إن إنتهت فترة عطلته السويسرية حتى قرر الرحيل إلى فرانكفورت ، و قبيل رحيله طلب من هايدي أن تأتي معه إلى هناك ، و ما إن أخبرها بطلبه ذاك حتى شعرت بالإستياء و الغضب المكتوم و ذكرها بالأيام السوداء التي قضتها في فرانكفورت وسط عماراتها العالية و شوارعها الطويلة المزدحمة و منازلها المكتظة بالسكان و معاملة الآنسة روتينهايمر القاسية معها (أجل يا دكتور ، و لكن سيكون من الأفضل لو عدت إلى هناك بمفردك)

(هايدي ، لو شعرت تماما بالوحدة و المرض هل ستأتين لرؤيتي ؟)

(بالطبع يا دكتور ، أنا أحبك مثل جدي تماما)

فشعر الدكتور كلاسن بالسعادة الغامرة لحظة مغادرته كوخ العم ألب

(إنه مكان رائع للغاية !)

الفصل العاشر

الشتاء في دورفلي

وعد العم ألب حفيدته هايدي بأخذها إلى قرية دورفلي و الإقامة فيها طيلة فصل الشتاء ، و ما إن أصبح الطقس أكثر برودة أواسط شهر أكتوبر حتى أخذ هايدي و أغنامه إلى بيته الكائن بالقرب من الكنيسة في القرية الواقعة أسفل الجبل حيث عاش هناك من قبل مع إبنه توبياس لعقود خلت ، ما إضطره إلى إصلاحه مجددا بعد هذه الغيبة الطويلة خلال فصل الخريف الماضي .

أحبت هايدي منزلها الجديد كثيرا و لا سيما غرفتها المزدانة بالصور المعلقة على الجدران و موقدها الدافئ ، و ذات يوم ، أحضر جدها سريرها المصنوع من القش من كوخه الخشبي و وضعه في غرفتها الجديدة قبيل تساقط الثلوج عليهم منتصف الظهيرة ، و بعد أربعة أيام من إقامتهم القروية تلك ، طلبت هايدي الإذن منه لزيارة غراني اليوم ، لكنه قابل رغبتها بالرفض القاطع بحجة أن الثلوج المنهمرة أغلقت الطريق الممتد من القرية إلى الجبال و لا تستطيع عبورها إلى هناك أو عودتها منها بسهولة تامة على الإطلاق اليوم أو غدا .

تجمد الثلج بعد فترة وجيزة من الزمن مما مكن بيتر من المجيء إلى دورفلي ليصطحب هايدي على طريقه عائدا إلى الجبال ، لكن ما إن وصل إلى كوخ عائلته حتى لم تجد هايدي غراني جالسة على ركنها المعتاد ، فسألت والدة بيتر بريجيت عنها ، فأجابتها بأنها على سريرها من شدة المرض ، فركضت مسرعة نحو غرفتها حيث وجدتها ممددة على السرير و الشال الذي أحضرته من فرانكفورت ملتف على عنقها و كتفيها العجوزين (هل أنت مريضة يا غراني ؟)

(كلا كلا ، كل ما في الأمر أني أشعر بالبرد و هذا السرير الذي أنا عليه غير مريح بالنسبة لي ، لكني سأشعر بالتحسن قريبا إن شاء الله بفضل هذا الشال الدافئ و شرائح السويسرول المفضلة لدي التي مازلت اتناولها كل يوم ، و بما أنك هنا الآن يا عزيزتي ، هلا قرأت لي كتابا ؟)

أخرجت كتابا من الرف و بدأت بقراءته بصوت مرتفع مما أدخل البهجة و السرور إلى وجه غراني المبتسم لاحقا ، و ما إن بدا يحل الظلام حتى إستأذنت هايدي غراني بالإنصراف بعد توديعها حيث عادت سريعا إلى دورفلي بصحبة بيتر تحت ضوء القمر الساطع على الثلوج البيضاء العاكسة لبريقه الأخاذ .

في تلك الليلة ، لم تتمكن هايدي من النوم حيث ظلت تفكر بغراني كثيرا طوال الليل (عندما قرأت لغراني شعرت بالسعادة الغامرة ، لكن الثلوج الكثيفة تمنعني من المجيء إليها كل يوم ..... فكرة ! أعرف ماذا سأفعل ! سأحدث بيتر بشأنها !)

و منذ ذلك الحين غطت هايدي في نوم عميق حتى إستيقظت في الصباح الباكر لليوم التالي بغية الذهاب إلى مدرسة دورفلي التي إنضمت إليها منذ مطلع فصل الشتاء الحالي و مازالت تواظب على الحضور إليها و الدراسة بجد فيها كل يوم عكس بيتر الذي كان يتكاسل في ذهابه إليها أو الغياب عنها لأيام عدة بسبب الدروس الصعبة التي يتلقاها هناك ، لكن ما إن رأته بالقرب من المدرسة مجددا حتى ركضت نحوه بغاية الحماس (لدي فكرة يا بيتر لمساعدة غراني في موضوع قراءة الكتب ، ينبغي عليك أن تتعلم القراءة و الكتابة)

(لا يمكنني ذلك يا هايدي ، أن تعلمهما صعب للغاية)

(لا عليك يا بيتر ، سأعلمك قدر إستطاعتي كي تتمكن من قراءة الكتب لغراني كل يوم)

و في ذلك المساء أي بعد ثلاثة أسابيع من لقائه السالف الذكر بهايدي في مدرسة دورفلي فاجأ بيتر والدته بريجيت بتعلمه القراءة و الكتابة و إجادتهما بمنتهى الحرفية و الإتقان (ماذا قلت ؟! أصبحت قادرا على القراءة و الكتابة ؟!! هل أنت جاد فيما تقول ؟!!!)

(جدتي ، هل تريدين أن أقرأ لك قصة ؟ لقد أخبرتني هايدي بأن أقرأ لك نيابة عنها لأنها مشغولة بدراستها هذه الأيام)

أحضرت بريجيت كتابا لولدها الذي جلس على الطاولة المجاورة لسرير غراني و بدا بقراءته بصوت عال أمامهما بشكل أدهشهما للغاية و أدخل في قلبيهما السعادة و السرور لتمكنه أخيرا من تعلم القراءة و الكتابة بعد كان تعلمه لهما من وجهة نظرهما من سابع المستحيلات .

في صباح اليوم التالي و أثناء تواجد بيتر في المدرسة ، طلب المدرس منه خلال درس القراءة أن يقرأ القليل من سطور كتابه المدرسي ، فقرأه بصوت مرتفع أثار دهشة أستاذه و صفق له تصفيقا حارا إعجابا به (رائع يا بيتر ! لقد أصبحت قادرا على القراءة دون أن ترتكب خطأ واحدا كما في السابق ! من ساعدك في تعلمها ؟!)

(أنها هايدي يا أستاذ)

بعد ذلك ، واصل بيتر في الغالب قراءة الكتب لجدته غراني ، لكنه ما إن يقف عند كلمة صعبة للغاية حتى يتجنبها و يقرأ التي بعدها ، و لقد لاحظت غراني هذا الأمر بدقة فأخبرت إبنتها بذلك (بيتر يحاول جاهدا قراءة الكتب لي دون أن يتحسن مستواه بعد حيث مازال يتجاوز العديد من الكلمات الصعبة ، بل إن هايدي لا تزال أفضل منه في هذا المضمار ، أرجو أن يحل فصل الربيع كي تعاود زيارتنا مجددا)

الفصل الحادي عشر

زوار كثر لهايدي

مر فصل الشتاء الطويل مرور الكرام ، و بدأت الثلوج في شهر مايو بالذوبان شيئا فشيئا و حل العشب الأخضر و الأزهار الملونة في المروج الجبلية البيضاء محلها مجددا معلنة عودة العم ألب و حفيدته الصغيرة إلى كوخهم الخشبي قادمان من دورفلي ، و في يوم من الأيام ، أحضر بيتر معه لهايدي رسالة من مكتب بريد دورفلي مرسلة من قبل الآنسة كلارا حيث تقول فيها :

(عزيزتي هايدي ، سآتي قريبا إلى سويسرا بصحبة جدتي لزيارتك ، إشتقت لرؤيتك مجددا و رؤية بيتر و أغنامه

صديقتك المخلصة

كلارا)

ما إن قرأت هايدي سطورها المقتضبة حتى شعرت بالسعادة الغامرة لقدوم صديقتها العزيزة إليها عكس بيتر بالإستياء و الغضب المكتوم لرفضه التام قدوم أي زائر من فرانكفورت إليهم .

ذت يـــوم مـــن شـــهر يونيـــو ، شـــاهدت هايـــدي مـــن بعيـــد رجلـــين يحمـــلان محفـــة تجلـــس عليهـــا فتـــاة تغطيهـــا مظلـــة مـــن أشـــعة الشـــمس و خلفهـــا رجـــل يجـــر كرســـيها المتحـــرك و زميلـــه الآخـــر يحمـــل علـــى ظهـــره الأمتعـــة ، و بجانبهـــا الأيســـر ســـيدة عجـــوز علـــى مـــتن حصـــانها قـــادمين جميعـــا إلـــى كوخهمـــا الخشـــبي (جـــدي! تعـــال و أنظـــر ! كـــلارا و جـــدتها قادمـــان نحونا!)

ركضـــت هايـــدي مســـرورة نحـــو الآنســـة كـــلارا للترحيـــب بهـــا و بالســـيدة سيســـمان التـــي نزلـــت مـــن ظهـــر حصـــانها فرحـــا بإســـتقبالها لهمـــا ، ثـــم لحـــق العم ألب على إثرها ليرحب بقدوم السيدة سيسمان ترحيبا حارا .

تأملـــت الآنســـة كـــلارا الجبـــال و أشـــجار الصـــنوبر المتنـــاثرة مـــن حولهـــا بإعجاب شديد (يا له من مكان جميل يا عم الب!)

(دعيني يا إبنتي أحملك و أضعك على كرسيك المتحرك)

حملهـــا العـــم ألـــب بلطـــف و وضـــعها علـــى الكرســـي المتحـــرك بمنتهـــى المرونـــة (آه يـــا هايـــدي! كـــم أود لـــو تمكنـــت مـــن الـــركض حـــول هـــذه المروج الجبلية مثلك)

أحضـــر العـــم ألـــب مـــن الكـــوخ المائـــدة واضـــعا فيهـــا الحليـــب و الجـــبن ، كمـــا أحضـــر مـــن هنـــاك أيضـــا الكراســـي ليجلســـوا عليهـــا جميعـــا ، فأعجبـــت

جـدة الآنسـة كـلارا السـيدة سيسـمان كثيـرا بمائـدة طعامـه و بطعـام الغـداء البسـيط الـذي لـم تـذق مثلـه مـن قبـل ، و قـد بادلتهـا حفيـدتها نفـس الشعور .

لاحقـا ، أخـذت هايـدي السـيدة سيسـمان إلـى غرفتهـا المتواضـعة فـي العليـة لتريهـا سـريرها المصـنوع مـن القـش ، فلحـق العـم ألـب فـي إثرهمـا حـاملا الآنسـة كـلارا بـين ذراعيـه عبـر سـلم العليـة حيـث أعجبـت الأخيـرة بالغرفـة كثيـرا ، فـإقترح العـم ألـب علـى السـيدة سيسـمان بـأن تـدع حفيـدتها تمكـث معهـم لفتـرة معينـة مـن الـزمن و تنـام مـع هايـدي فـي غرفتهـا بعـدما قطـع أمامهـا وعـدا بصـنع سـرير آخـر مـن القـش لهـا ، مـا إن سـمعت الآنسـة كـلارا و هايـدي كلامهمـا حتـى شـعرتا بالغبطـة و السـرور فوافقت السيدة سيسمان على إقتراحه فورا و بلا تردد .

حمـل العـم ألـب بعضـا مـن البسـط و السـجادات الدافئـة مـن محفـة الآنسـة كـلارا و غطـاهن بـالقش ليصـنع مـنهن سـريرا لهـا أسـوة بحفيدتـه هايدي .

فـي منتصـف الظهيـرة ، إمتطـت السـيدة سيسـمان حصـانها بمسـاعدة العـم ألـب الـذي أخـذها فـي جولـة إلـى الجبـل المحـاذي لهـم ، علـى مـن أنهـا

أخبرتــه بنيتهــا بالبقــاء فــي دورفلــي إلا أنهــا وعدتــه بزيارتــه مجــددا فــي القريب العاجل .

و عنـد المغيـب ، و مـا إن وصـل بيتـر مـع أغنامـه إلـى كـوخ العـم ألـب حتـى نـادت هايـدي بأسـمائهن لدرجـة أن الآنسـة كـلارا قلـدتها فـي منـاداتهن و حفـظ أسـماء بيـت الـثلج و سـبوت و فينـتش و ديـزي و دوسـكي و التركي الكبير أيضا !

فـي صـباح اليـوم التـالي ، سـاعدت هايـدي الآنسـة كـلارا فـي تغييـر ملابسـها ، و مـا إن أصـبحتا جـاهزتين للخـروج حتـى صـعد العـم ألـب إلـى العليـة و أنـزل الآنسـة كـلارا إلـى الأسـفل و وضـعها علـى كرسـيها المتحـرك و قادهـا إلـى المـرج الجبلـي القريـب مـنهم لتتـنفس هـواؤه النقـي و نسـيمه العليـل للمـرة الأولـى فـي حياتهـا ، حيـث شـعرت بـدفء أشـعة الشـمس السـاطعة علـى وجههـا و يـديها متمنيـة فـي قـرارة نفسـها أن تبقـى هنا إلى الأبد .

أحضـر العـم ألـب معـه مـن الكـوخ كأسـين مـن حليـب المـاعز لحفيدتـه و الآنسـة كـلارا (إشـربي هـذا الحليـب يـا عزيزتـي كـلارا ، أنـه مـن ضـرع معزتنا ديزي ، سيجعلك قوية)

على الرغم من أن الآنسة كلارا لم تشرب حليب الماعز من قبل إلا أنها سرعان ما أحبت مذاقه (ماذا سنفعل الآن يا هايدي ؟)

(دعينا نكتب الرسائل إلى جدتك ، فلعلها قلقة للغاية بشأن إقامتك هنا)

(و هو كذلك ، لكن هل يمكننا البقاء خارج الكوخ ؟ المنظر هناك في غاية الروعة)

مر النهار سريعا و محل المساء مكانه ، و ما إن حان وقت العشاء حتى أعد العم ألب للآنسة كلارا طعاما لذيذا ، فيما بعد عاد بيتر من المرعى مع أغنامه و مر من الكوخ الخشبي حيث أعاد كلا من ديزي و دوسكي إلى العم ألب ، و عندما رأته هايدي و الآنسة كلارا حتى ودعتاه بتحية ما قبل الخلود إلى النوم دون أن يرد عليهما ببنت شفة راجعا إلى كوخه أسفل الجبل .

و في صباح اليوم التالي ، قدما رجلان من دورفلي إلى كوخ العم ألب حاملان معهما أجزاء من سريرين على ظهرهما و معهما أيضا رسالة من السيد سيسمان يشرح من خلال سطورها بأن السريرين السالفي الذكر لإبنته الآنسة كلارا و هايدي ، فساعدهما العم ألب في تركيب السريرين و تعبئتهما بالقش .

بـــدأت الآنســـة كـــلارا تســـتعيد عافيتهـــا شـــيئا فشـــيئا و واظبـــت مـــع هايـــدي علـــى مراســـلة جـــدتها يوميـــا لدرجـــة أن أدرك مـــن خـــلال إطلاعـــه علـــى رســـائلها المنتظمـــة بأنهـــا تقضـــي وقتـــا ممتعـــا فـــي أحضـــان الجبـــال الخلابـــة التـــي هنـــاك ، كمـــا أحبهـــا العـــم ألـــب كثيـــرا كحفيدتـــه تمامـــا ، إلا أنـــه كـــان حزينـــا للغايـــة بشـــأن وضـــعها المشـــلول و إضـــطراره إلـــى إجلاســـها علـــى الكرســـي المتحـــرك طـــوال الوقـــت حيـــث رغـــب بـــأن تجـــرب المشـــي و تحـــاول الســـير علـــى قـــدميها ، فمـــا إن يضـــعها علـــى الكرســـي المتحـــرك حتـــى تحـــدث معهـــا بلطـــف زائـــد ســـائلا إياهـــا مـــا إذا كانـــت قـــادرة الوقـــوف على قدميها أم لا ؟

حاولـــت الآنســـة كـــلارا الوقـــوف مـــرارا و تكـــرارا ، لكـــن ســـاقيها الضـــعيفتين الهشتين خانتهما ، فسقطت على الأرض مجددا .

لقـــد كـــان صـــيفا جمـــيلا و الشـــمس تشـــرق علـــى الأزهـــار المنتشـــرة فـــي الحقـــول الخضـــراء بأشـــعتها الذهبيـــة البراقـــة (جـــدي ، هـــلا أخـــذتنا رجـــاء إلى المرعى غدا ؟)

(بالطبع يا عزيزتي)

و مـــا إن وصـــل بيتـــر إلـــيهم حتـــى أخبرتـــه نشـــوانة بمجيـــئهم إلـــى المرعـــى معـــه غـــدا دون أن يـــرد عليهـــا بكلمـــة واحـــدة ســـيما و أنـــه لـــم يرغـــب بمجيـــئ

الآنسة كلارا معهما كي يمضي وقته مستمتعا مع صديقته هايدي هناك

.

الفصل الثاني عشر

مفاجأة مذهلة

إستيقظ العم ألب مبكرا من نومه في صباح اليوم التالي ، و أول عمل قام به إستيقاظه أن حمل الكرسي المتحرك إلى باحة الكوخ المفتوحة ثم قفل راجعا إلى الداخل لإيقاظ هايدي و الآنسة كلارا من نومهما .

ما إن وصل بيتر كعادته إليهم في الموعد المحدد حتى رأى الكرسي المتحرك الخاص بالآنسة كلارا في الخارج مما ولد مشاعر الغضب العارم بداخله جراء ذلك (هايدي معتادة على الخروج معي إلى المرعى كل يوم ، لكن لا أستطيع الإستمتاع بوقتي مع هايدي طالما صديقتها الجديدة الآنسة كلارا هنا التي ستأتي حتما معنا)

و فجأة ! ركض بيتر خلسة نحو الكرسي المتحرك و جره نحو أسفل المنحدر بسرعة فائقة و قذفه صوب صخوره الوعرة إلى أن إصطدم بها و تحطم (جيد ، بهذه الطريقة لن تأتي الآنسة كلارا معنا أو الذهاب لأي مكان طالما كرسيها المتحرك غير موجود ، و وقتها ستضطر لمغادرة قريتنا إلى الأبد)

بعد ذلك ، أطلق بيتر العنان لساقيه نحو المرعى قبل أن يشعر العم ألب الذي خرج لتوه من الكوخ حاملا الآنسة كلارا بين ذراعيه

ليضعها على كرسيها المتحرك و من خلفه هايدي قبل أن يتفاجأ بإختفائه المريب (أين كرسي كلارا المتحرك يا هايدي ؟)

(لا أعرف يا جدي ، لعل الرياح قذفته أسفل الجبل)

وضع العم ألب الآنسة كلارا على المصطبة ثم نزل أسفل المنحدر الجبلي ليجد الكرسي المتحرك قد تهشم تماما إلى أشلاء متناثرة (غريبة ! كيف سقط من أعلى إلى هنا ؟! لا أصدق أن الرياح من فعلت ذلك ؟!! هناك شخص ما وراء رميها أسفل الجبل ؟!!!)

شعرت الآنسة كلارا بالإنزعاج و الحزن الشديدين عندما أخبرها العم ألب بما جرى لكرسيها المتحرك (أوه لا ! كيف سأتمكن من الصعود إلى المرعى من دونه ؟!)

(بلى ، تستطيعين الذهاب إلى هناك ..... بالمناسبة ، أين بيتر ؟ لقد تأخر اليوم كثيرا)

بعد تناولهم الإفطار ، حمل العم ألب الآنسة كلارا بين ذراعيه مجددا و من خلفهم هايدي و الغنمتين ديزي و دوسكي متجهين صوب الجبل و مراعيه الخضراء ، و ما إن وصلوا إلى هناك حتى فوجئوا برؤية بيتر مع قطيع أغنامه قبلهم (هل رأيت كرسي الآنسة كلارا المتحرك ؟)

(ككككلا يا عم ألب)

رمق العم ألب بيتر بنظرة حادة دون أن ينطق بحرف واحد (يبدو أن بيتر يشعر بالغيرة من الآنسة كلارا و غالبا ما يغضب من وجودها مع هايدي ، لعله هو من رم الكرسي المتحرك أسفل الجبل)

وضع العم ألب الآنسة كلارا على الأرض وسط العشب الناعم الدافئ (سأعود إليكم لاحقا ، علي أن أنزل أسفل الجبل للعثور على الكرسي المتحرك)

كان يوما مشمسا و جوه لطيف للغاية دفع الآنسة كلارا و هايدي إلى تجاذب أطراف الحديث فيما بينهما يملأهما السرور و السعادة و مداعبة الغنمة بيت الثلج الجالسة بجوارهما (كلارا ، هل لي بتركك وحدك لبعض الوقت ريثما أعود إليك ؟ أريد رؤية الأزهار التي هناك)

(بالطبع يا عزيزتي هايدي ، فأنا و بيت الثلج سعيدتان بوجودنا هنا ، فلا تقلقي بشأننا)

ركضت هايدي بعيدا نحو المنحدر لتأمل أزهارها الملونة الجميلة و أرادت من صديقتها الآنسة كلارا أن تركض نحوها لتراهن بنفسها ، لكنها إعتذرت لها عن المجيء لعدم قدرتها على المشي حتى (إذن ، علي أن آتي إليك لكي أحملك إلى هناك لرؤيتهن)

(كلا يا هايدي ، لا يمكنك حملي أبدا ، فأنت صغيرة الحجم للغاية)

فنادت هايدي على بيتر طالبة منه المجيء إليها على الفور ، لكن الأخير قابل طلبها بالرفض ، فغضبت منه غضبا شديدا و هددته بفعل شئ ما لا يرضيه مالم يأتي إليها على وجه السرعة ، فخاف من تهديدها بعدما ساورته الشكوك فيما إذا عرفت بأنه من كان وراء تحطيم كرسي الآنسة كلارا المتحرك و خشي من أن تخبر جدها بجرمه المشهود ، فإنطلق مسرعا نحوها و هو كاره (ماذا تريدين يا هايدي ؟)

(إرفع جانب كلارا الأيسر بينما أنا أرفع جانبها الأيمن لنساعدها على الوقوف)

فعل بيتر ما أمرته هايدي دونما إعتراض ، فتمكنت الآنسة كلارا من الوقوف (و الآن يا عزيزتي كلارا ضعي ذراعك حول عنقي ، و أنت يا بيتر أمسك بذراعها الأخرى .... حاولي المشي قليلا و لو ببطء ، لا تخافي ، أنا و بيتر سنقف كلانا بجانبك)

حركت الآنسة كلارا قدمها اليمنى ثم اليسرى ما لبثت أن تعثرت و سقطت على الأرض ، لكنها حاولت مرارا و تكرارا ، شيئا فشيئا تمكنت من الوقوف بمفردها و السير بضع خطوات دون مساعدة من

أحـد ، فصـرخت مبتهجـة (أنظـري إلـي يـا هايـدي أنظـري إلـي ! أنـا أمشـي !)

تمكنـت الآنسـة كـلارا أخيـرا مـن المشـي بمفردهـا بعـد جهـد جهيـد (هـذه معجزة يا كلارا ! لن تحتاجين إلى كرسي متحرك على الإطلاق !)

نزلـت هايـدي و بيتـر إلـى المـرج لرؤيـة العشـب الأخضـر و الأزهـار الجميلـة و معهمـا الآنسـة كـلارا السـعيدة للغايـة بقـدرتها لأول مـرة علـى المشي قدميها سيما و أن كلاهما عاوناها على ذلك .

و أثنـاء تنـاولهم وجبـة العشـاء ، أعطـت كـلا مـن هايـدي و الآنسـة كـلارا مـا تبقـى مـن حصـتهما مـن الطعـام لبيتـر الـذي سـر أيمـا سـرور لكـرمهم الحـاتمي معـه ، لكنـه توقـف عـن الإسـتمتاع بتناولـه عنـدما تـذكر مـا إقترفـه بحق الآنسة كلارا بعدما حطم كرسيها المتحرك .

و عنـدما وصـل العـم ألـب إلـيهم أخبرتـه هايـدي بمـا جـرى مـن تطـورات سـارة تتعلـق بالآنسـة كـلارا و تمكـن القرويـون مـن العثـور علـى أشـلاء كرسـيها المتحـرك حيـث كـان مـن بيـنهم معلمـة بيتـر و التـي سـألها الأول عمـا إذا كانـت علـى علـم بهويـة الجـاني أم لا ؟ كـيلا يصـل الخبـر إلـى مسـامع السـيد سيسـمان الـذي سـيثور غضـبا عليـه ، فسـرت قشـعريرة فـي جسـد بيتـر مـن شـدة الخـوف عنـد سـماعه ذلـك (ربمـا سيسـتدعي السـيد

سيسمان الشرطة من فرانكفورت لتعقب الفاعل و العثور عليه مهما كان الثمن)

في صباح اليوم التالي ، كتبت الآنسة كلارا و معها هايدي رسالة إلى جدتها تخبرها فيها بأنها تطلب منها المجيء إليها خلال هذا الأسبوع دون أن تبشرها بخبر قدرتها على المشي مفضلة أن تجعله الأمر مفاجأة لها عند قدومها إليها .

مضت الأيام اللاحقة لما سبق مرور الكرام حيث بدأت صحة الآنسة كلارا تتحسن مع مرور الأيام بعدما تحسنت قدرتها على المشي و الوقوف على قدميها .

بعد مرور أسبوع واحد ، وصل السيدة سيسمان إلى الجبل قادما من قرية دورفلي ، و أثناء صعوده المنحدر الجبلي نحوهم رأى حفيدتها الآنسة كلارا و هايدي جالستان معا في باحة الكوخ الخشبي (تبدين على ما يرام يا عزيزتي ..... و لكن أين كرسيك المتحرك ؟!)

و فجأة ، وقفت الآنسة كلارا على قدميها مستندة على ذراع هايدي و سارت ببطء نحو جدتها المذهولة مما رأته و دفعها إلى ذرف دموع الفرح على تمكن حفيدتها الصغيرة من المشي بمفردها و دون مساعدة من أحد !

ما إن سمع العم ألب بكائها السعيد حتى خرج من كوخه لإستقبالها (لقد ساعدت حفيدتي على المشي مجددا يا سيد ألب ! و بفضلك أيضا أضحت سعيدة للغاية و بصحة جيدة أفضل من ذي قبل ! لا أعرف كيف أشكرك أنا و إبني السيد سيسمان على صنيعك هذا ؟ سأكتب إلى والدها حالا لأبشره بتلك الأخبار السارة)

لكن والد الآنسة كلارا قبيل قدومه إلى سويسرا لزيارة إبنته كان لديه هو الآخر مفاجأة لهم ، فخلال سيره على الأقدام إليهم قادما من دورفلي شعر بالإرهاق الشديد و أصيب بالحمى جراء السير المتواصل و لم يعد قادرا على الإهتداء إلى الطريق الصحيح نحوهم ليتوقف و يسترح بضع دقائق ثم يستأنف المسير ، و فجأة ! شاهد من بعيد صبيا يركض نحوه أسفل الجبل و الذي لم يكن سوى بيتر (يا صبي ، أنا أبحث عن رجل يدعى العم ألب يعيش مع طفلة تدعى هايدي و يزورنهم أناس من فرانكفورت ، هل تعرفه ؟)

ظن بيتر للوهلة الأولى أن السيد سيسمان شرطي أتى لإعتقاله بشأن تحطم الكرسي المتحرك الخاص بالآنسة كلارا ما دفعه للفرار منه مسرعا بأقصى ما يمكن ما أثار إستغراب السيد سيسمان من تصرفه الغريب ، بعدما نال قسطا من الراحة إستأنف طريقه الشاق إلى أن

رأى أخيرا من بعيد كوخ العم ألب تحيط أشجار الصنوبر الثلاثة به من كافة الإتجاهات .

ما إن رأت هايدي و الآنسة كلارا والد الأخيرة السيد سيسمان يقترب منهما حتى صرختا بفرحة طاغية لقدومه و على الفور إنطلقتا نحوه في المنحدر الجبلي ، صدم السيد سيسمان لدى رؤيته إبنته الآنسة كلارا و هي تسير على قدميها نحوه لدرجة أن الصمت أطبق على فمه من هول المفاجأة ، فعانقها بحرارة بالغة و الدموع تسيل من عينيه (لا أصدق ما رأته عيناي ! كلارا ، أنت تمشين و تقفين على قدميك دون عون من أحد ! إنها معجزة ! معجزة !)

عندما إلتقى السيد سيسمان بالعم ألب تصافحا بحرارة بالغة كما لو كانا صديقين حميمين يعرفان بعضهما منذ زمن طويل شاكرا إياه على ما صنعه من أجل إبنته كلارا .

فيما بعد ، شاهد السيدة سيسمان بيتر بالقرب من أشجار الصنوبر (ما مشكلتك مع هذا الصبي الواقف هناك يا سيد ألب ؟! لما يتوارى خلف هذه الأشجار بعيد عنا ؟! هل هو خائف منا ؟!!!)

(ذاك الصبي يا سيدة سيسمان هو الريح المزعومة التي أوقعت كرسي الآنسة كلارا المتحرك أسفل الجبل و حطمته شر تحطيم ، إسمه بيتر

، و منذ فترة وجيزة أضحى يشعر بالغيرة من حفيدتك كثيرا لتفضيل حفيدتي هايدي قضاء الوقت معها أكثر مما تقضيه معه)

إنتاب السيدة سيسمان القلق مما قاله العم ألب لتوه حيال بيتر ، فإستدعته من مخبائه ليمثل أمامها و كان في غاية القلق و الخوف (أعلم ما صنعته و لما أقدمت على إرتكابه ، لكنك لم تسبب أي مشكلة لحفيدتي بل ساعدتها ، فلو لم تحطم كرسيها المتحرك لما إعتمدت على نفسها و تعلمت المشي بمفردها مجددا ، و تقديرا لما فعلته من أجلها أريد أن أعطيك هدية ، فماذا تحب أن أهديك ؟)

(هدية ؟!! ... حسنا ، أحب الفطائر)

(ها ها ها ، و هو كذلك يا بني ، يمكنك تناول فطيرة كل أسبوع بقية عمرك)

قفز بيتر من الفرحة و ركض بأقصى سرعة لديه أعلى بعدما قطع وعدا على نفسه بأن يتوب توبة نصوح عن إفتعال المشاكل طالما ظل على قيد الحياة .

إلتفتت السيدة سيسمان نحو العم ألب (صديقي العزيز ، لقد فعلت الكثير من أجل حفيدتي كلارا و تستحق المكافأة على ذلك ، أطلب مني ما تشاء)

(أريد منك شيئا واحدا فقط ، أن تعتني بحفيدتي و ترعيها أيما رعاية ، فأنا رجل عجوز بات قاب قوسين أو أدنى من الموت ، فمن سيعتني بها في حال وفاتي غيرك سيدة سيسمان ؟)

(بالطبع يا سيد ألب ، أنا أحب هايدي مثل حفيدتي كلارا تماما و أكثر ، و طالما هي تحت رعايتي فلا تقلق أبدا عليها ..... هايدي ، ألديك أمنية تودين أن أحققها لك ؟)

(نعم ، سريري الموجود في منزلكم بفرانكفورت دافئ و مريح للغاية ، أريدكم أن تعطوه لغراني لتنام عليه كل يوم)

(سأكتب للآنسة روتينهايمر في الحال و أطلب منها إرسال سريرك إلى غراني)

(هييه ، سأخبر غراني في الحال بهذا الخبر السعيد)

(إذن ، فلنذهب معا إليها في بيتها)

لكن ما إن سمعت غراني بهذا الخبر حتى بدت حزينة للغاية (هذا لطف منك يا هايدي ، لكن هل هذا معناه أن عائلة سيسمان ستأخذك معها إلى فرانكفورت مجددا ؟ أنا لا أستطيع العيش من دونك يا عزيزتي أبدا)

(كـــلا يـــا ســـيدة غرانـــي ، هايـــدي لـــن تـــأتي معنـــا إلـــى فرانكفـــورت ، ســـتبقى فـــي مســـقط رأســـها بالجبـــل و نحـــن بـــدورنا ســـنزورها مجـــددا فـــي العـــام القادم)

فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي ، إســـتعدت عائلـــة سيســـمان للرحيـــل مـــن الجبـــل إلـــى فرانكفـــورت ، و مـــا إن ودعـــت الآنســـة كـــلارا هايـــدي حتـــى أجهشـــت بالبكاء (لا تحزني يا كلارا ، ستزوريني مجددا في الصيف القادم)

(ســـأفتقدك كثيـــرا يـــا هايـــدي و ســـأظل أفكـــر بـــك حتـــى العـــام القـــادم ، و عنـــدها سنقضـــي معـــا أوقاتـــا ممتعـــة فـــي الجبـــل و مراعيـــه الدافئـــة و مروجـــه الخضراء ، من يدري ؟!)

(النهـــايـــــة)